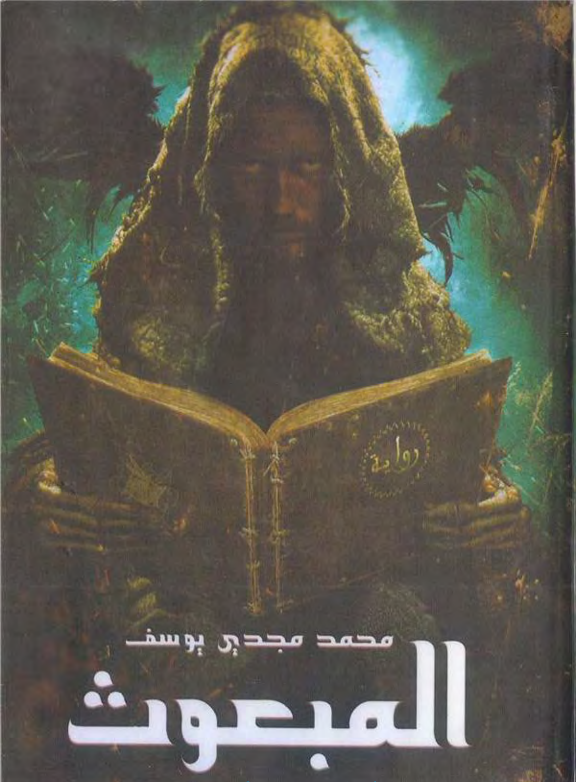

رواية
محمد مجدي يوسف
المبعوث

الكتاب : المبعوث
المؤلف : محمد مجدى عبد الجواد
تصميم الغلاف : إسلام علام
تدقيق لغوي : أحمد أسامه
رقم الإيداع : 2015/9861
الترقيم الدولي : 978-977-778-018-6
الطبعة الأولى : 2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com

المبعوث

محمد مجدي عبد الجواد

ن للنشر والتوزيع

تقديم

هناك نقطة ما بدأ منها كل شيء، ونقطة أخرى .. سينتهي عندها كل شيء.. وبين هاتين النقطتين .. نحيا ..

وفي حياتنا تلك نواجه أصعب الأسئلة وأقساها، عن منشأنا والغاية من وجودنا، من نحن ؟ نسأل .. من أين جئنا وكيف ولماذا ؟ أسئلة بديهية يتلفظ بها كل طفل بمجرد إدراكه لكينونته كإنسان .. له وجود ودور واختيار.. واختبار..

البعض يتجاوز منطقة التساؤلات الحذرة حول ما كان يوجد في قديم الأزل وما سوف يوجد بعدما تتحلل ذراتنا في التراب، والبعض يمر بعقله مرورًا عابرًا على عالم مبهم تمامًا بالنسبة لنا نحن البشر أو ..عوالم أخرى..

نحن لسنا وحدنا، لم نأت في سلام وهدوء ونحط على الأرض دون ثمن ودون اختبارات عسيرة وصعبة، ومستمرة ببقائنا على سطحها ..وصراعنا مع عالم آخر -عالم الشيطان- الذي بدأ منذ زمن طويل للغاية..صراع لم ينتهي.. ولن ..

ولكن كاتبنا لا يتجاوز بعقله منطقة الحذر ولا يمر عابرًا بالمبهم ولكنه يأخذنا في رحلة إلى العمق من كل ذلك بخياله الخصب وجرأته . عالم

من الأساطير وربما الحقيقة حيث يختلط الأمر ولكن تبقى التساؤلات تحفر في أذهاننا نفقًا عميقًا من التفكير فيما نقرأه معه بأسلوب شيّق وممتع وغامض .. رجل واحد اختاره الكاتب ليمثل صراعاتنا، وماذا يمكن أن يفعل الإنسان عندما يجد نفسه دونما اختيار في دور لم يختره ولم يُرِدْه كما جاء على لسان (جاسر) بطل الرواية .. ماذا يجب أن يفعل وماذا يكون الاختيار الصائب في حالة كتلك ..

هل من العدل أن نصنف هذه الرواية على أنها رواية رعب ؟ في رأيي ليست رعبًا خالصًا تقليديًا وإنما هي مزيج فريد من الرعب والأساطير والفلسفة والخيال، هذا المزيج الذي لم آلفه من قبل ولكنني أحببته مع هذا الكاتب في روايته تلك وقصصه القصيرة السابقة .. حيث أنتظر دائمًا علامة استفهام كبيرة تحتل عقلي بعد أن أنتهي من القراءة له..

ربما تعثر على الإجابة مع جاسر، ربما تجدها عندك وأنت تقرأ سطور هذه الرواية الغامضة التي ستعيش معها ساعات من المتعة، لكنك في النهاية ستنتظر من كاتبها المزيد من ثرائه الذهني .. والأدبي ..

د.شيماء عبادي

المجد للشيطـــان .. معبود الريــاح

من قال لا في وجه من قالوا نعم

من علّـــم الإنســـان تمزيق العدم

مـــن قـــال لا .. فلـــم يمــت

وظـــل روحـــا أبديّة الألـــم!

(أمل دنقل – من قصيدة كلمات اسبارتاكوس الاخيرة)

(1)

يجلس القرفصاء .. يرتشف الشاى .. يتأمل تلك الغرفة الجميلة ذات اللون الوردى ، وفراش أنيق من نفس اللون .. منضدة صغيرة للزينة تعلوها مرآة ، وخزانة ملابس تصلح للأطفال فى أحد الأركان ..

يبدوا أنها غرفة لطفل ما .. بل لطفلة ما . فاللون الوردى يليق بالفتيات أكثر..

كان لديه طفلة من قبل ، ولكن هذا منذ زمن بعيد .. أو قريب .. لا يدرى حقًا ، لقد فقد حسه الزمنى أو أنه ملّ من تتبعه..

يُفتح باب الغرفة بغتة .. ولكنه لا يكترث ، لا ينتفض مفزوعًا .. لابد أنه الهواء لا أكثر..

يقف على قدميه ، ينظر إلى نفسه فى المرآة..

مازال شابًا فى أوائل الثلاثينات .. لا يكبر فى هذا المكان !! .. بالرغم من شعوره بأنه قد مَرَّ عليه دهورًا .. شعره أسود كما هو لم يتخلله خصلة بيضاء .. وجهه خالى من التجاعيد ، رياضى البنية .

يا له من وسيم .. هكذا كانت تقول الفتيات .

وبالرغم مما يمر به ، يهتم بنفسه جيدًا .. يحلق ذقنه .. يساوى شعيرات رأسه القصيرة .. يرتدى أفضل الملابس .

يذهب إلى خارج الغرفة متجهًا إلى باب الشقة .. كان يعرف طريقه جيدًا ، فهى شقته ، منذ زمن بعيد – أو يعتقد هو ذلك - يمد يده ليفتح الباب .

- جاسر .. إلى أين تذهب ، فالوقت متأخر .

ينظر إلى يمينه ليجد زوجته (أمال) .. يبتسم لها قائلًا:

- إلى أى مكان ، فلا فرق الآن بين وقت متأخر أو صباح مشرق .

***

يجوب الشوارع ، ينظر حوله فى الفراغ .. تتراص المبانى على جانبى الطريق ، والمحلات الخالية من الناس .

لا يعرف أو يذكر متى حدث ذلك أو لماذا .. فقط استيقظ من النوم ليجد كل شخص ، بل كل كائن حى قد أختفى .

شوارع خالية .. منازل مهجورة .. محلات ليس لها مالك مما أتاح له أن يرتدى ما يشاء .. يأكل ألذ المأكولات ، يجلس فى أبهى المطاعم .. وذلك دون حساب .

هىَ هىَ المدينة ، نفس المبانى القديمة ، فهو يسكن فى إحدى العمارات بوسط البلد ، أكثر المناطق زحامًا .. هاهى الآن ساكنة ساكتة..

ولكن كيف يختفى الجميع هكذا ؟!! سؤال لا يجد له إجابة ولن يجد ، على ما يظن !!

زوجته ؟!!

هو يدرك جيدًا أنها من محض خياله .. فهى لا وجود لها فى الواقع ، ثم إنه يراها منذ فترة قريبة ، مجرد رؤية لا يستطيع أن يلمسها ، وحاول من قبل وفشل .

كم مر عليه من الوقت هكذا ؟!!

ربما أسبوعًا .. شهرًا .. أو حتى سنة .. لا يدرى ، فالأيام متشابهة .

يقف أمام متجرا للخمور .. ينظر إلى الزجاجات والأسعار التى عليها .. ويبتسم ساخرًا .

يتذكر أنه كان دائم الجلوس على مقهى الحرية ، بجوار ميدان التحرير .. وكان لا يجرؤ على طلب زجاجة (ستيلا) . ليس خوفًا منها ، وإنما خوفًا من أن تراه ابنته صدفة ، فتفعل مثله فى الكبر .. أما الآن فهو يتطلع إلى شتى أنواع الخمور .. (فودكا) .. (براندى) .. (كونياك) ..

(ويسكى سكوتش) .. (تيكيلا) .. وغيرهم..

يأخذ زجاجة (تيكيلا) ، ويفتحها ويتجرع منها قليلاً وهو يقول لنفسه :

- لا بأس الآن من الشرب .

إن كان يأبه لإبنته من قبل ، الآن لا يهتم بشىء فهى ليست بالجوار.

(ريم) ، ابنته ذات السبع سنوات – كما يتذكر منذ آخر مرة رآها – فتاة جميلة ، شعرها يميل إلى الأصفر مثل والدتها .. والعينين العسليتين المصبوغتين ببراءة الأطفال .

حقًا كم يشتاق إليها ، وإلى هذين الكفين الصغيرين..

كل يوم يتطلع إلى غرفتها ، ينظفها ، يمكث بها بالساعات دون ملل .. يشتاق لرؤياها ، حتى لو كان وهمًا .. ولكنها تأبى الظهور..

يتذكرها عندما توقظه فى صباح يوم السبت – وهو إجازة رسمية من عمله – لكى تأخذ مصروفها ، كانت تعبث فى شعره القصير وكأنها حبيبته وليست ابنته ، حتى يفيق ليجد وجهها الباسم أمامه ، فتُقَبِّلَهُ ببراءة ، يبتسم هو الآخر ويحتضنها ، قبل أن يقف سريعًا ليعطيها مصروفها .. خمس جنيهات فى اليوم .. مازال حتى الآن يحتفظ بهم يوميًا ، ماعدا يوم الجمعة كما كان الاتفاق .. فكر كثيرًا فى أن يُحَطِّم

(الحصالة) ويقوم بعدّ النقود ، فربما يدرك حينها كم من المدة مكث وحيدًا .. ولكنه لم يفعل ذلك ، يريدها هى من تفتحها ، على أمل أن يراها مرة أخرى .

شرب ربع الزجاجة تقريبًا .. أغلقها وتركها ، وخرج من المتجر مترنحًا . ليس سكرانًا ، بل يتشبه بذلك ، فتلك الأشياء لا تؤثر فيه الآن .

بدأت الشمس فى الشروق ، يتطلع إلى تمثال طلعت حرب .. ثم يتجه إلى مكتبة بالجوار.. اعتاد كل فترة – كل أسبوع تقريبًا – أن يذهب إلى تلك المكتبة وينتقى إحدى الروايات ليقرأها وينهيها ..

مائة عام من العزلة ؟ ، لا قرأها مرتين من قبل ..

أولاد حارتنا .. ملائكة وشياطين .. الخيميائى .. وغيرها من الروايات أمامه .. ولكنه فى النهاية اختار رواية (الواجهة) ليوسف عز الدين ، بالرغم من أنه قد قرأها من قبل ، ولكنه كان يريد أن يتذكر تلك المدينة الفاضلة التى تتحدث عنها الرواية ، وهل هى تشبه تلك المدينة التى يعيش بها الآن ؟

يجلس على أحد المقاعد خلف الطاولة .. ويفتح الكتاب ليبدأ القراءة ..

- لقد نسيت قهوتك..

يتطلع إلى ذلك الشخص الذى ظهر جالسًا أمامه ، على نفس الطاولة ومعه كوبين من القهوة .. ظهر من العدم .. رجل أنيق ، طويل القامة ، له شعر أبيض ناعم ينسدل على كتفيه ، وذقن مهذبة ، ويرتدى قميصًا من نفس اللون تعلوه رابطة عنق سمراء وفى الجزء السفلى بنطالًا أسود ..

ولكن (جاسر) لم يُفاجأ ، أو يفزع ، لقد رآه أكثر من مرة ، أعتاد على ظهوره المفاجئ .. فقط ألقى عليه نظرة خاطفة ، بطرف عينيه ، ثم تطلع إلى الكتاب مرة أخرى معلقًا بهدوء..

- أنت مرة أخرى ؟

لا يجيبه الشخص الأبيض ، وكأنه اعتاد على رد الفعل هذا .. ثم يضع أمام (جاسر) كوب القهوة..

يعم الصمت المكان لدقائق ، (جاسر) مشغولًا بقراءته ، والرجل الأنيق يراقبه مبتسمًا وهو يرتشف قهوته..

- عجبت لك ولغيرك ، تَملّون وتشتكون من الروتين ، وحينما تأتيكم الفرصة لتشكيل حياتكم كما تريدون ، تصنعون لنفسكم روتينكم الخاص!!

يتطلع إليه (جاسر) دون أن يُعلّق .. فيتابع الأبيض :

- تجلس طوال اليوم فى غرفة ابنتك ، ثم تخرج لبلًا تأكل ، أو تشرب ، تتنزه قليلًا، ثم تعود مرة أخرى لتنام .. وكل أسبوع تقريبًا تأتى هنا بقهوتك لتقرأ رواية ما .. أليس هذا روتينًا مملًا ؟

صمت للحظات أخرى ، يتطلع فيها (جاسر) إلى (الأنيق) قبل أن يسأل :

- وهل هناك شيء أخر يمكن عمله ؟!!

- وهل بحثت أنت ؟

- عمَّ أبحث ؟!! ألا ترى الفراغ الذى أعيش به ؟!! .. كل يوم لا أجد سوى نفسى لأحدثها ، لا أجد سوى نفسى لأتعايش معها ، كل شيء معى أنا ، لا يوجد سواى .

كان يتحدث منفعلًا ، وكأنها فرصة ليخرج ما بجعبته ..

- وزوجتك ؟

خرجت من (الأنيق) هادئة غير مبالية بثورة (جاسر) .

- زوجتى ؟!! أين هى ؟! فهى مجرد خيالات ، صورة وهمية من عقلى الذى يتمنى وجودها .

يتطلع إليه الأنيق صامتًا ، مبتسمًا .. بينما عاد (جاسر) ليرتشف القليل من القهوة متابعًا وقد هدأ صوته قليلًا:

- أنت أيضًا مجرد وهم . صورة من خيالى المريض..

- وهل رأيتنى من قبل حتى تتخيلنى ؟!

يفكر (جاسر) قليلًا. هو يدرك جيدًا أنه لابد أن يكون قد رأى الشخص أو الشىء من قبل حتى يتمكن من تكوين صورة وهمية له ..

يبحث عن جوابًا مقنعًا دون جدوى .

- ربما رأيتك هنا أو هناك ، أنا لا أتذكر جميع الوجوه .

- ربما .

يتطلع الإثنان إلى بعضهما للحظات قبل أن يعود (جاسر) بعينيه إلى روايته مرة أخرى .

- المدينة الفاضلة .. أتؤمن بوجود تلك المدينة ؟

قالها الأنيق وهو يتطلع إلى الرواية .

- لا توجد مدينة فاضلة .. إنها هراء .

- ربما تكون أنت بالمدينة الفاضلة الآن .

لُطخ شفتيه إبتسامة ساخرة ..

- أنا لست بمدينة ، فكيف لها أن تكون فاضلة .. لا يوجد مسمى لمدينة لو كانت خالية من البشر أو حتى أى كائنات حية.

كان يتحدث دون أن يرفع نظره عن الرواية ، وعندما لم يجد رد ، نظر أمامه ليجد المقعد خاليًا ، لقد رحل الأنيق ، فهو يأتى فجأة ، ويذهب أيضًا فجأة .

يعلم جيدًا أن هذا الرجل مجرد وهم ، ولا يعلم لماذا يراه ، ولا يهتم بذلك .

شعور سخيف أن تحدث نفسك ، ولكن مهلا ، حتى كلمة (سخيف) ليست لها معنى دون أن يراك أحد !!

حقًا كم يفتقد البشر ، ربما هم بغيضون فى كثير من الأحيان ، ولكنه يفتقدهم .. حياة بغيضة أفضل من حياة فارغة .

يغلق الرواية ، لم يكملها ، شعر برغبة فى تغيير ذلك الروتين الذى أشار إليه الأنيق .

ماذا يفعل ؟ لا يدرى ، ولكنه مجرد كسر للروتين .

يتجه إلى خارج المكتبة ، يخرج منها بالفعل ليقف مشدوهًا ..

لقد خرج من المكتبة ليجد نفسه فى مكان أخر . هذا ليس ميدان طلعت حرب ، ولا يعتقد أنه شاهد هذه المنطقة فى القاهرة أو فى مصر ككل .. أو هذا ما يعتقده فى حدود الأماكن التى رآها ، سواء بنفسه أو فى التلفاز.

ينظر خلفه ، فلا يجد المكتبة ، بل متجرًا للملابس ..

وبالرغم من ذلك شعر بسعادة بالغة ..

فأمامه كان الشارع مزدحمًا بالناس ، رجال ونساء ..

وعلى بعد أمتار ، كان يقف الرجل الأنيق ، ينظر إليه مبتسمًا ..

(2)

فى الأربعينات من عمرها ، تجلس على الفراش دائمًا .. تنام أحيانًا !!

لا تهتم بشعرها .. زينتها .. ردائها .. لا تهتم بغير القراءة .. تناثرت حولها على الفراش العديد من الكتب القديمة البالية (شمس المعارف الكبرى) .. (بداية ونهاية) .. (عالم الطلاسم) .. وغيرها من الكتب غريبة الأسماء .

تجلس الآن فى منتصف الفراش ، فى الظلام ، وتقرأ فى كتاب أمامها على ضوء شمعة بجوارها ..

- غير المغضوب عليهم ولا الضالين يا قاهر يا عزيز أجب يا كسفيائيل سميعًا مطيعًا أنت وخادمك ميمون بحق غير المغضوب عليهم ولا الضالين وبحق القاهر العزيز و وبحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمه الملائكة الموكلين بقوائم العرش .

أريد زوجى جاسر..

كانت مندمجة فى القراءة ، جاحظة العينين فى الكتاب ..

- ليست تلك هى الطريقة .

قالتها الفتاة الجالسة على الكرسى جوار الفراش . شعرها أحمر لامع ، رائعة الجمال . جسمها متناسق . ترتدى فستان أسود قاتم . يُظهِر أكثر مما يُخفى ..

لا تجيب (أمال) ولا حتى تلتفت إليها . وإنما تتابع قراءتها كما هى ..

- أقسمت عليكم يا ملائكة الروحانيين من العلويات والسفليات وياخادم فاتحة الكتاب أن تجيبونى وتمدونى وتُعينونى في جميع أمورى الوحا الوحا . العجل العجل الساعه الساعة . بحق السبع المثانى والقرآن العظيم.. أمال بنت مروة ..

تبتسم ذات الشعر الأحمر..

- ملوك الجان لديهم ما هو أهم من تفاهاتك تلك .

تترك (أمال) الكتاب ، وتنظر إلى الفتاة ذات الشعر الأحمر قائلة :

- بدلًا من تلك السخرية الحمقاء ، قولى لى ماذا أفعل ؟

يُفتح باب الغرفة بغتة . لتدخل (ريم) – ذات التسعة عشر عامًا – إلى الغرفة ..

- أمى ..

ولكنها تقطع عبارتها حين ترى (أمال) رثة المنظر ، وحولها العديد من الكتب دون ترتيب .

- أمازلتِ تقرأين هذا الهراء ؟!!

تنظر (أمال) إلى ذات الشعر الأحمر ، ولكن تلك الاخيرة كانت قد أختفت ، فتتطلع مرة أخرى إلى (ريم) .

- ألم أقل لكِ من قبل أن تَطرُق الباب قبل الدخول ؟!!

(ريم) تشبه أمها كثيرًا ، حيث شعرها مائل إلى اللون الأصفر ، طويلة نسبيًا ، ذات قوام رشيق ، وتملك قدرًا لا بأس به من الجمال ..

تتقدم (ريم) إلى الداخل ، وتتحدث بعصبية :

- يكفى ما تفعلينه بنفسك يا أمى ، الميت لا يعود مرة أخرى ، لقد مات أبى ، ماااات ..

تتطلع (أمال) إلى (ريم) قليلًا. وتترقرق عيناها بالدموع ..

- كيف ؟!! ، أنا لا أذكر كيف مات !!!!

تَهُم (ريم) بالإجابة ، ولكنها تصمت ، وتظهر الحيرة على وجهها ..

حقًا ، كيف توفى والدها ، هى لا تتذكر..

كان جوارها ، يداعبها ، يلاغيها ، يلاعبها ..

ثم فجأة ..

لا يوجد له أثر .. تقبلت وفاته ..

بل مقتنعة بوفاته ، وكان هناك عزاء .. عزاء كبير .. وجثة مدفونة ..

ولكنها لا تتذكر كيف مات ..

بل ، لا تتذكر حتى شكل جثته ، لا تتذكر أى شىء .. !!

أهذا لأنها كانت وقتها طفلة صغيرة ذات سبع سنوات لا تفقه شيئًا فى مثل تلك الأمور ؟!!

ظل الموضوع فى ذهنها طوال الطريق إلى الجامعة ..

حتى وهى جالسة فى المحاضرة ، لم تنتبه إلى أى كلمة قالها المحاضر..

- ما الذى يشغل بالك ؟

كان ذلك (أحمد) رفيقها فى السنة الأولى من كلية الآداب جامعة القاهرة ..

لم تتعرف (ريم) على الكثير من الأصدقاء ، لأنها خجولة قليلًا. وتميل إلى المكوث وحدها أغلب الأوقات ، ولكن (أحمد) كان مختلفًا ، فهو من اقتحم حياتها ، هل يحبها ؟ . لا تدرى فهى لم تجرب تلك المشاعر من قبل ..

- لا شىء مهم .

كانت تجلس على أحد المقاعد بالجامعة ، فجلس (أحمد) جوارها قائلًاببعض القلق :

- ريم ، أنا أعرفك جيدًا ، لقد كنتِ شاردة الذهن طوال المحاضرة على غير عادتك ، والآن لم تنتبهى حتى لقدومى !!! ماذا بكِ ؟

تتردد (ريم) قليلًا ، ولكنها تقف مستعدة للذهاب قائلة :

- أنا على ما يرام .. لا تقلق ..

تبتعد عنه وسط تَعَجُّبَهُ من هذا التصرف الغريب ، ولكنها تتوقف مرة أخرى وتلتفت إليه متسائلة :

- نحن نعرف بعضنا منذ سنة ، أليس كذلك ؟

- بلى !!

- هل حدثتك عن والدى من قبل ؟

تطلع إليها متعجبًا ، ولكنه أجاب :

- كل ما ذكرتيه عنه ، أنه توفى وأنتى صغيرة ، لا أعلم تفاصيل أخرى ؟ لماذا هذا السؤال الغريب ؟!!

تلتفت مرة أخرى لتذهب قائلة :

- لا شئ ، أراك لاحقا .

***

شكل المقابر كان مهيبًا فى ذلك التوقيت ، فالشمس كانت تنهى غروبها..

هى لا تعلم لماذا أتت إلى بلدتها (طهواى بالمنوفية) ، ولماذا توجهت إلى المقابر فى هذا الوقت المتأخر ، ولكنها تعلم يقينًا أنها لو كانت تبحث عن والدها ، فهنا هو المكان المناسب للسؤال عنه ..

لا تخاف (ريم) من تلك الاماكن ... بل ترتعب منها ، حتى أنها كانت تفزع كل لحظة من ظلها ..

- أتبحثين عن شيء ؟

كادت أن يُغْشَى عليها ، مع صوت شهقة عالية ، وهى تلتفت إلى مصدر الصوت ..

- أسف ، لم أقصد إفزاعك !!

تحاول أن تتمالك نفسها أمام ذلك القادم ، هو شخص يبدو فى الخمسينات من عمره ، يرتدى جلبابًا أبيض ، يشوبه بعض الأتربه ، وذقنه تتدلى حتى صدره .

- من أنت ؟!!

يبتسم الشخص لتظهر أسنانه الصفراء ، مجيبًا بفخرٍ غير مبرر :

- أنا (طاهر) حارس المقابر..

كان منظر (طاهر) هذا لا يُشَجِّع على الحديث بالمرة ، ولكنها لم تقطع تلك المسافة حتى تعود خاوية اليدين ، ولذلك استجمعت شجاعتها ، وأبتلعت ريقها ، قبل أن تسأل :

- أنا .. أنا .. كنت أبحث عن مقابر أ/ جاسر محمد الأسيوطى ..

ينظر إليها (طاهر) مفكرًا وهو يداعب لحيته ، فتتابع حديثها موضحة:

- أنا ريم ، إبنته ..

- ليس هذا ما يقلقنى . ولكنك الثانية التى تأتى باحثة عن تلك المقبرة فى أسبوع واحد !!

كانت (ريم) متعجبة . ولكنها لم تُظهر ذلك ، فمن الطبيعى زيارة أقاربها للمقبرة .

- وما العجيب فى ذلك ؟!!

- العجيب أن تلك المقبرة لم يزرها أحد منذ سنوات . فقد كان أستاذ جاسر – رحمه الله – هو الوحيد الذى يأتى لزيارة والديه . ومنذ وفاته لم يأتى أحد ..

كان الكلام غريبًا بالفعل على مسامع (ريم) . فكيف لم يزر أحد والدها ؟!! فعمها (رأفت) يعيش هنا . فى تلك القرية . ومن الطبيعى أن يمر على والديه وأخيه المتوفى كل فترة على الأقل !!

- لقد دفن أبى هنا . أليس كذلك ؟

كانت تعرف إجابة السؤال . ولكنه نوع من الإطمئنان .

- بلى بالطبع . أليست مقابر عائلته ؟!! فأين يدفن إذًا ؟!!

- كنت أريد أن أرى تلك المقبره .

تحرك الإثنان وسط المقابر . ولاحظ (طاهر) توترها . فقال محاولًا طمأنتها :

- لا تقلقى سيدتى . فالمقابر هى أأمن مكان على وجه الأرض . فلا يوجد بها سوى الموتى ..

تتوتر (ريم) أكثر ..

- لو تلك العبارة لِطمأنتى فهذا لا يجدى نفعًا على الإطلاق !!

كان الطريق ليس بطويل حتى وصلا إلى مقابر عائلتها . لاحظت اللافتة الخشبية الموضوعة فوق باب المقبرة الصغير المكتوب عليها (مقابر عائلة الأسيوطى) ..

- من جاء لزيارة المقبرة هذا الأسبوع كما ذكرت ؟

قالتها (ريم) وهى تلتفت إليه . متشوقة إلى معرفة ذلك الشخص . من الممكن أن يفيدها بشىء ..

- زوجة الأستاذ جاسر رحمه الله .

كانت الإجابة غير متوقعة بالنسبة لـ (ريم) حيث أن والدتها من الصعب أن تغادر غرفتها . ليس لأنها مريضة . وإنما لاعتكافها الفراش منذ سنين . تقريبًا منذ وفاة والدها !!

يبتسم (طاهر) عند رؤيته لعلامات الدهشة على وجه (ريم) .

- سوف أتركك قليلًا مع عائلتك .

كاد أن يذهب ، ولكن توقفه (ريم) قائلة :

- كيف مات والدى ؟

كانت تنتظر إجابة ، كانت تأمل إجابة . ولكنه فقط ابتسم لها ، وذهب..

لم تتعجب أو تندهش من تصرفه ، فهو غريب بما يكفى ..

راقبته قليلًا حتى أختفى عن الأنظار ، ثم التفتت إلى مقبرة عائلتها ..

كان منظرها مُريب ، وقد غطأها ستار الليل ، ويلمع على جدرانها ضوء القمر الخافت ..

المقبرة عبارة عن غرفة صغيرة نسبيًا ، ولها باب معدنى صغير الحجم مغلق بقفل قديم الطراز أسفل الجدار أمامها ، حيث لا يستطيع الدخول إلا شخص واحد حبوًا على أطرافه ..

أخذت تتطلع إلى المقبرة ، لا يوجد شىء غريب بها ، فهى مثل المقابر حولها ..

لماذا أنت إلى هنا ؟!! ، ما الذى تبحث عنه ؟!!

إذا كانت تريد إجابات لما يحيرها ، فهنا لا يوجد سوى الصمت ، السكون .. وكما ذكر (طاهر) لا يوجد أحد يزور تلك المقبرة ، إذًا لن يوجد من يفيدها ..

- من أنتِ ؟!! وماذا تفعلين هنا ؟!!

كانت شاردة الذهن ، فانتفضت مع صوت صرخة مكتوم عند سماعها للعبارة التى انطلقت من خلفها ،و التفتت إلى مصدر الصوت ، لتجد رجلًا فى أوائل الثلاثينات ، ذو لحية غير مهذبة ، يرتدى جلبابًا رماديًا .. كان يتطلع إليها بحذر وشك ..

- ماذا تفعلين هنا فى ذلك الوقت المتأخر؟!!

كرر سؤاله مرة أخرى بحذر ، فتعلثمت قليلًا قبل أن تجيب وهى تشير إلى المقبرة :

- أنا (ريم) بنت أستاذ جاسر الأسيوطى ، المدفون هنا ، أنا صاحبة تلك المقبرة .

لم تتغير نظرة الشك ..

- هذا لا يبرر وجودك فى مثل هذا الوقت ؟!!

كان الوقت متأخر بالفعل ، وغريب لزيارة المقابر !!

- لقد كنت قريبة من هنا ، فوددت أن أزور والدى وأدعو له .. لقد قابلنى حارس المقبرة وهو من أوصلنى إلى هنا .

امتزجت الدهشة بالشك على ملامح الرجل ..

- حارس المقبرة ؟!!! أنا حارس المقبرة ، ولا يوجد أحد هنا سوى والدتى المريضة ..

أتسعت عيناها قائلة :

- عم (طاهر) ، رجل ذو لحية بيضاء كبيرة ؟!!

- عم (طاهر) ؟!!! والدى ؟!! لقد توفى منذ أكثر من ثمان سنوات !!

(3)

باريس .. لم يزرها من قبل . ولكنه رآها فى التلفاز أكثر من مرة . فكثير من الأفلام كانت تصور فى تلك المدينة . وعند ذلك البرج الذى يظهر أمامه .. برج إيفل ..

- Hi

حاول أن يُرَحِب بتلك الفتاة التى مرت من جواره ، ولكنها لم تلتفت إليه !! . هو لا يتحدث الفرنسية . ولا يفقه بها شيئًا . من المحتمل أنه لم ينطق بالكلمة الصحيحة ..

لا تهم اللغة الآن ، ولا كيف أتى إلى هنا ، الأهم أن هناك بشر، هناك أشخاص يسيرون أمامه ، يتحدثون حوله ، يسمع صوتهم ، شجارهم مع بعضهم ، يسمع من بينهم صوت الحياة يعود إليه .

- Please , Can You Understand Me ?

مرة أخرى لم يلتفت ذلك الشخص المار بجواره إليه ؟!! هل بالفعل لا يفهم لغته ؟!! ولكن لم تبدر منه أى التفاته أو حتى نظرة فضوليه تدل على سماعه إياه !!

يقترب (الأنيق) من (جاسر) الحائر قائلًا بابتسامة :

- لا تُتعِب نفسك ، فلا يسمعك أو يراك أحد .

يتطلع (جاسر) إلى الأشخاص حوله متعجبًا ، قبل أن ينظر إلى الأنيق مرة أخرى ..

- ماذا تعنى ؟!!

يحيط (الأنيق) كتف (جاسر) بذراعه ، ويحثه على السير معه ..

- ألم تكن تشعر بالملل ، سوف أقودك فى رحلة .

بدأ (جاسر) بالفعل فى السير مع الأنيق ..

- أية رحلة تلك ؟

- سترى ..

تحرك الإثنان ، حيث كان (جاسر) ينظر حوله بانبهار .. فهما يمران الآن بجوار نهر (السين) ، حيث يجد الشباب والشابات ، والرجال والنساء ، والعائلات ، يستقلون المراكب لأخذ جولتهم السياحية فى النهر ..

ظلا يسيران لمدة ليست بالقليلة ، ومرا على غابة (بولونيا) بمسطحاتها الخضراء ، حتى وصلا أخيرًا إلى برج إيفل ..

- لم تدخل برج إيفل من قبل ، أليس كذلك ؟

تساءل (الأنيق) بالرغم من معرفته للإجابة مسبقًا ، فنظرة (جاسر) وتطلعه وانبهاره بالمكان يدل على أنه لم يره على الطبيعة من قبل ، ولذلك أكتفى (جاسر) أن يحرك رأسه يمينًا ويسارًا دلالة على النفى ..

تقدم الإثنان إلى مدخل البرج ، مرورًا بالعديد من الأشخاص الذين يطالبون بالدخول ، فهما بالطبع لن ينتظرا دورًا ..

مرا على الطابق الأول ، والمتحف السمعى والبصرى ، لتلتقط أذنى (جاسر) بعض الكلمات التى لم يفهم منها شيئًا عن قصة بناء ذلك البرج ، كما يشرحها أحد المرشدين لفوج من السائحين ..

صعدا إلى الطابق الثانى ثم إلى الثالث ، ليقف الإثنان لمشاهدة باريس بالكامل من فوق البرج ، كان المنظر رائعًا بالفعل ..

كان (جاسر) يشعر بسعادة بالغة ، فأخيرًا منذ زمن يرى أناسًا غير زوجته وذلك الأنيق ، الذى لا يعرف كنهه حتى الآن ، هو يعلم جيدًا أنهم محض خيال ، وأنه لا يستطيع التحدث إلى أى شخص ، أو حتى

لمسهم . ولكنه شعور رائع أن يكون حولك وجوه عديدة مختلفة . أن يكون حولك حياة ..

ظل يتأمل الحركة فى الشوارع من أعلى البرج ، حتى غروب الشمس . بينما يقف (الأنيق) بجانبه صامتًا ساكنا ، وكان جوارهما بعض الزائرين الذين يستمتعون بالمنظر مثلهما ..

سيدة تحمل طفلتها ، كانت تداعبها ، وتشير لها إلى لون السماء وقت الغروب ، عندما وقعت فجأة بطفلتها على الأرض دون حراك ..

حاول (جاسر) أن يوقفها مرة أخرى ، أو يرى ما بها ، ولكن يده عبرت جسدها وكأنها غير موجودة ، أو هو الذى لا وجود له !!

تبع السيدة الجميع ، فأخذوا يتساقطون واحدًا تلو الآخر ، ومن الواضح أن ذلك أيضًا ما يحدث فى الأسفل ، حيث كان يتساقط المارة ، وكأن روحهم أُخِذَت منهم فجأة ..

ينظر (جاسر) إلى المنظر حوله فى ذعر بالغ ، ولا يعلم ماذا يفعل !!

- ماذا يحدث ؟!! لماذا يسقط الجميع ؟!!

كانت محاولة منه للاستفسار من (الأنيق) ، ولكن هذا الأخير أجاب بالصمت ، حيث كان ينظر إلى السماء مبتسمًا ..

بدأت الجثث تتبخر ، بل تذوب ، وكأن الأرض تبتلعها ، حتى اختفى الجميع ..

شعر أنه انتقل من متعته بالمناظر الخلابة إلى مشهد فى أحد أفلام الرعب التى يبغضها ..

صوت الرعد يُصِمُّ الآذان ، تتساقط الأمطار بغزارة ، ينطلق البرق ليضرب أسفل برج إيفل ، الذى يهتز ويترنح ، كاد أن يقع (جاسر) . بينما (الأنيق) ثابتٌ كما هو ..

زلزال يجوب الأرض ، زلزال ضخم ، تتشقق الأرض ، تذهب مياه نهر (السين) إلى أسفل الأرض حتى تجف تمامًا ..

برج إيفل ، يتحطم أسفله ، يُدفن معظمه تحت الأرض ليتبقى فقط الجزء الذى يقف فوقه الأنيق و (جاسر) ..

ثم ..

يهدأ كل شىء فجأة ، تسطع الشمس فى غير موعدها أو مكانها ..

يتحامل (جاسر) ليقف مرة أخرى بعد أن سقط بالفعل ، ينظر إلى (الأنيق) المتماسك جواره ..

يسأله والذعر يكسو ملامحه :

- ماذا يحدث ؟!!

لا يجيبه (الأنيق) أو حتى ينظر إليه . فيقترب منه (جاسر) أكثر صائحًا ، وقد فقد أعصابه :

- قل لى ماذا يحدث هنا ؟ ماذا يحدث بحق الله ؟!!

يتطلع إليه (الأنيق) قليلًا . قائلًا ببطء وهدوء غريب :

- شاهد .. فقط شاهد ..

قبل أن يستفسر (جاسر) عما يقصده (الأنيق) . انطلق صوت بوق عالٍ جدًا يُصِمُّ الآذان ، صوتٌ جعل (جاسر) يمسك أذنيه بيديه وهو يصرخ بشدة من الألم ، لم يحتمل الوقوف ، فجثا على ركبتيه وهو يتألم بشده ، حتى أن أذنيه سال منهما خيطًا من الدماء .

هدأ الصوت ، تمدد (جاسر) على ظهره وهو يلهث بشدة مغلقًا عيناه ، بعد لحظات ، بدأت الأرض فى الاهتزاز مرة أخرى . فاعتدل (جاسر) وهو ينظر حوله . لتتسع عيناه عن أخرهما ..

فأمامه كانت جثث تخرج من الأرض ..

أيد تخترق التربة ، ثم يتبعها باقى الجسد ..

أجساد أجساد أجساد ، كلهم عرايا ، رجال ونساء ..

يصرخ الجميع ، يهرول بلا هدف ، فقط الخوف هو المسيطر ..

تقترب الشمس أكثر من الأرض . تتصاعد الحرارة تدريجيًا ، يتساقط العرق من على جبين (جاسر) ..

تقترب الشمس لتدنو فوقهم بقليل . تشتعل بعض الأجساد ، لتعلو الصرخات أكثر ..

يقف (جاسر) ، ليتطلع إلى ذلك الجحيم الذى أمامه ..

يصرخ هو الآخر من الألم ..

وبعد أن وصل إلى قمة ألمه ، حتى أنه كاد أن يشتعل حيًا !!

ضوء أبيض يملأ المكان ، ضوء يُغْشِى الأبصار ..

يغلق (جاسر) عينيه وهو مازال يصرخ مثل البقية ..

ثم يهدأ كل شيء !!

تتوقف الصرخات ، يتوقف الألم ، تعود حرارة جسده إلى طبيعتها ..

يفتح (جاسر) عينيه ببطء ، ليجد نفسه قد عاد !!

ليس إلى باريس كما كان يراها من قبل ..

وإنما ميدان طلعت حرب .. الخالى من البشر ..

بالنسبة إليه الآن .. وحيدًا فى ميدان طلعت حرب أفضل كثيرًا من باريس كما رآها ..

يقف أمام المكتبة .. كم يشتاق إليها الآن !!

ينتبه إلى (الأنيق) الذى يقف إلى جواره مبتسمًا قائلًا:

- كان هذا مثال لجزء فقط .. مجرد مثال !!

***

يجلس ذلك الكهل على عرشه ، ممسكًا عكازه ..

- عالمنا يا بنى ، عالم الجن ، يختلف عما كنت فيه ، فنحن بيننا الطيب واللص والمؤمن والكافر ، ولكننا نحاول أن نعيش سويًا ..

كان يجلس يستمع إليه باهتمام ، فلعل ذلك العجوز (سوميا) يفيده بشىء ..

تابع (سوميا):

- فى داخلنا مشاكل ، هناك حروب بيننا ، هناك قبائل مختلفه ، قبل أن نُقْحِمَ نفسنا فى حرب ، يجب أولًا أن نتحد ..

- ولكننا الأقوى ..

قالها الجالس مقتنعًا ، ولكن (سوميا) ابتسم قائلًا:

- ليس الآن ، يوما ما سنصبير الأقوى ..

(4)

كل شىء حولها أحمر اللون ، كانت تشعر بالخوف ، بالحيرة والشغف فى نفس الوقت !!

لا تذكر (أمال) كيف جاءت إلى هنا ، وكيف ارتدت ذلك الفستان الأبيض الشفاف ، كان شبيهًا بفساتين العصور الوسطى ، ولكنه يُظهر ما ترتديه أسفله من ملابس داخلية ..

تقف جوارها (ذات الشعر الأحمر) بنفس ردائها الأسود ، وبجانبها يتحرك ذلك الظل الضخم ، له هيئة بشرية ولكن دون ملامح ، مجرد ظل ضخم متحرك ..

تتطلع (أمال) إلى تلك الكهوف ، والرمال الحمراء ، تحاول النظر إلى السماء ، ولكن لا توجد ، مجرد جدار صخرى ، هناك بحيرة صغيرة على بعد خطوات منها ، مياهها تراها حمراء ، وكأنها بحيرة من الدماء ، لا تعلم هل بها حياة أم لا ، ولا تهتم حقًا بتلك التفصيلة ..

- أهلًا بك فى عالمى ..

قالتها (ذات الشعر الأحمر) بفخر واعتزاز ..

تتطلع (أمال) إليها غير مدركه ..

- كيف جئت إلى هنا ؟!!

تبتسم (ذات الشعر الأحمر) قائلة :

- ألم تريدى استدعاء ملوك الجن ؟ إذا أهلًا بكِ فى عالمهم ..

اتسعت عينا (أمال) ذعرًا ، فهى بالفعل كانت تقوم باستدعاء ملك من ملوك الجان ، حاولت كثيرًا دون جدوى ، ولكنها لم تتخيل أنها سوف تذهب إليهم ، فى عالمهم ..

وتذكرت فى تلك اللحظة أنها لم تسأل مطلقًا (ذات الشعر الأحمر) من هى ، لقد ظنت أنها نتيجة لخطأ ما فى إحدى التعازيم ، مجرد إحدى الجنيات الثرثارة ، التى ليس لها جدوى أو فائدة ..

ولكن كونها تستطيع اصطحابها إلى عالم الجن ، العالم السفلى ، فهذا لم يكن فى ذهنها مطلقًا ..!

- من أنتِ ؟ وما ذلك الظل جوارك ؟

لم تُعبرها أى انتباه بالنسبة للسؤال عنها ، ولكنها التفتت إلى الظل جوارها مجيبة :

- هذا ؟!! إنه من أنشط جنودى ، هو من أتى بكِ إلى هنا .. إنه الجاثوم ..

كانت تعرف جيدًا ماهو الجاثوم . لقد قرأت عنه كثيرًا . ولكن هذا يعنى أنها نائمة الآن على فراشها . وأن كل هذا ماهو إلا كابوس وسوف ينتهى عاجلًا أم آجلًا ..

ولكن . ماذا إذا ظل الجاثوم جاثمًا فوقها ؟!!

- إذًا فأنا أحلم ؟

تضحك (ذات الشعر الأحمر) ضحكة عالية قبل أن تقول :

- هذا ما تعتقدونه . ولكن فى الحقيقة . عندما يأتيكِ الجاثوم ، تكونين فى قبضتنا نحن . نفعل بكِ ما يحلو لنا ..

كانت نظرتها شبه تهديدية . التمعت فيها عيناها اللتان تحولتا إلى اللون الأحمر النارى ..

تلك النظرة ألجمت لسان (أمال) وجعلتها لا تستطيع التفوه بحرف أخر . فربتت (ذات الشعر الأحمر) على كتفها مطمئنة :

- ولكن لا تقلقى . لن نُصيبُكِ بسوء . ألم تُريدى مقابلة أحد ملوك الجن ؟!!

- فقط كنت أريد زوجى ..

تصمت (ذات الشعر الأحمر) قليلًا قبل أن تقول بغموض :

- نحن أيضًا نريد زوجك ..

قبل حتى أن تفكر فيما تقصده بقولها . تحركت إلى الأمام وهى تشير إليها قائلة :

- اتبعينى ..

تتبعها (أمال) فى صمت . ومعهما يتحرك (الجاثوم) . حتى وصلا إلى كهف صخوره سوداء اللون . كهف ضخم يليق ببيت دببة عملاقة . ولكن أى دببة تلك تستطيع العيش فى هذا الجو القاتم الذى تشعر به (أمال) الآن وهى تخطو إلى داخل الكهف خلف (ذات الشعر الأحمر)..

توقف (الجاثوم) عند المدخل ولم يُكمل الطريق معهم . فهو غير مُصرَّح له بدخوله ..

أما الكهف من الداخل فكان مُهيبًا . أحجاره سوداء . حتى تُربته كاحلة . وملمس رمالها مختلف عن غيرها . حيث شعرت وكأنها تخطو على رماد جثث محترقة . هى لم ترى رماد جثث من قبل سوى فى الأفلام الغربية . ولكن هذا ما أحست به ..

وبعد لحظات من تتبع خطى (ذات الشعر الأحمر) ، ترى (أمال) حراسًا من الجن ، يحملون رماحًا ، لحراسة ذلك العرش الموجود أمامها ، لم يُبهرَهَا فخامة العرش المُتكوّن من الأحجار البيضاء اللامعة . وإنما الجالس عليه ..

شيءٌ ما . أو شخصٌ ما – بالرغم من شكله القبيح المخيف وأنيابه الحادة التى تخرج من فكه السفلى – يبدو وقورًا . يرتدى السواد ، وعلى رأسه تاج بنفس اللون ..

لا تستطيع (أمال) أن تتحدث من رهبة الموقف ، بينما تشير (ذات الشعر الأحمر) إلى الجالس قائلة :

- هذا هو الملك (ميمون أبانوخ) ..

تتساءل (أمال) متعلثمة :

- الملك (ميمون أبانوخ) ، خادم يوم السبت ؟!!

يُجيب (ميمون) غاضبًا بصوته الجَهْوَرِى :

- خادم يوم السبت سابقًا ، فأنا الآن ملك لأكبر قبائل معشرنا قبيلة (الدناهشة) و (الميامين) ..

تتابع (ذات الشعر الأحمر) :

- لقد ذهب عصر الملوك الخدام . فالملك ملك والخادم خادم ، والخدام من الجن ، لا يخدمون سوى الجن ، فنحن أسياد العالم السفلى ، وأسياد الأرض وجميع العوالم فى القريب العاجل ..

تتوتر (أمال) أكثر وأكثر ، وتتمتم قائلة :

- أنا لا أفهم شيئًا !!

تتسع ابتسامة (ذات الشعر الأحمر) قائلة وهى تقترب أكثر من (أمال):

- لقد غيّرت حروبنا الكثير ، وهذا شىء لن تفهموه ، الآن على الأقل !!

***

تدخل (ريم) إلى غرفة (أمال) ، وتضئ النور ، لتجدها ممددة على الفراش نائمة على ظهرها ، ولكنها لم تَرَ ذلك الظل الأسود الذى ارتفع من على صدرها إلى سقف الغرفة قبل أن يتلاشى ..

تقترب منها ، لتجدها تتصبب عرقًا ، تتحسسها ، لتجد أن جسدها بارد جدًا – بالرغم من العرق الذى يغمرها – فيزداد توترها أكثر..

- أمى ، هل أنتِ بخير ؟!!

تحاول (ريم) إيقاظ (أمال) وهى تحرك جسدها برفق ، لا يوجد أى رد فعل فى البداية ، ولكن فجأة ، تفتح (أمال) عيناها مفزوعة ، وهى تعتدل على الفراش بحركة حادة ، قائلة بخوف واضح :

- أين أنا ؟!!

- تمهلى ، أنتِ ببيتك ، فى غرفتك ..

تطلعت (أمال) إلى غرفتها ، وكأنها تراها لأول مرة ، قبل أن تتنهد فى ارتياح ..

- أكان كابوسًا ؟

تساءلت (ريم) فى محاولة منها لتقليل التوتر ، ولكن (أمال) تطلعت إليها بحيرة قائلة :

- لا أعلم ، حقًا لا أعلم ..

تربت (ريم) على كتفها قائلة :

- لا عليك ، إهدأى ، فأنا أريد أن أسألك عن شيء هام ..

تنظر إليها (أمال) متسائلة ، بينما يدور فى رأس (ريم) العديد والعديد من التساؤلات ، ولكن هل تقول لها أنها ذهبت إلى مقابر

العائلة ؟!! ، هل تقول لها عن عم (طاهر) أو بالأدق شبح عم (طاهر) ؟!! ، هى تدرك أنها سوف تصدقها ، فما تقرأه وتلك الكتب المتناثرة حولها التى تتحدث عن الجن يقول أنها سوف تُصَدِّقُهَا على الفور ، ولكنها لاتدرى لماذا تخشى أن تقول لها ، فقط تشعر أنه من الخطأ إخبارها ..

- لماذا ذهبتى إلى المقابر؟!!

قررت أن تسألها فقط عن سبب زيارتها للمقابر دون الخوض فى تفاصيل ..

تعجبت (أمال) من هذا السؤال ، فهى لم تذهب إلى المقابر ، ولكن لحظة !!

ذلك الكابوس ، لقد قال لها الملك (ميمون أبانوخ) أو الأمير (ميمون أبانوخ) أيًا كان !! ، أنهم سوف يذهبون فى زيارة إلى مقبرة زوجها !!

لو أن ذلك ليس بكابوس ، فكيف علمت (ريم) بتلك الزيارة قبل أن تحدث ؟!!

- أنا لم أذهب بعد !!

كانت تلك الإجابة غير متوقعة بالنسبة لـ (ريم) ، هى بالفعل تلقت تلك المعلومة من (عفريت) أو (شبح) ، أو شىء ما غير بشرى ، ولكنها كانت متأكدة أنها حقيقة ، لا تدرك من أين لها تلك الثقة ، ولكنها فقط تشعر بذلك وبقوة ..

بعد ؟!! لم تذهب بعد ؟!! ، لماذا كلمة (بعد) ؟!! ، ماذا تعنى بذلك ؟!! ، وكأن (أمال) قرأت السؤال فى عينى ابنتها ، فأجابتها قائلة :

- كنت أنوى الذهاب ، كيف علمتى بذلك ؟!!

إذًا فذلك (الشىء) كان يخبرها بشىء لم يحدث بعد !! ولكن لماذا ؟!!

***

كان يشعر بالغضب ، يدخل إلى ذلك الكهف ، يدفع الحراس من أمامه ليواجه ذلك المُكَبَّل الراقد فى إعياء ..

يفتح (سوميا) عينيه بصعوبة ، وينظر إليه مع ابتسامة ساخرة شامتة ..

يضربه بكل قوته على وجهه ليصطدم بالحائط خلفه بعنف وهو يطلق صرخة ألم تُصِمُّ الآذان ..

- لماذا فعلت ذلك ؟!! ، لقد كنت على مشارف النصر !!

قالها وهو يحمل فى أعماقه كل الكره والحسرة والألم ، ولكن (سوميا) – رغم ألمه – ابتسم قائلًا:

- أنت تتوهم ، لقد كنت على وشك تدمير مملكة الجان ، لقد حذرتك ، ولكنك لم تستمع إلىّ ، فكان يجب على التصرف ..

اقترب منه قائلًابكل غضب :

- لقد دمروها من قبل ، وأنا كنت أستعيدها ، كنت سأجعلها هى المملكة الحاكمة ، ولكنك أضعت الفرصة ..

ثم أكال له لطمة أخرى على وجهه ، لتكون أخر صرخة قبل أن يهمد جسده دون حراك ..

سوف يثور عالم الجن بعد معرفة موت كبيرهم (سوميا) فعمره آلاف السنين ، ولكن يثور من يثور ، فهو غير مهتم بذلك ، يجب أن يعود مرة أخرى ، ولتكن تلك هى العودة الأخيرة ..

عودة يكونون بها الأسياد ، وليس الخدام أو المنبوذين ..

وفى أعماقه كان يردد ..

سوف نكون أسياد ذلك الكون ..

(5)

نزل (سوميا) إلى الأرض ، كان أول المخلوقات التى تنزل إلى الأرض ، وهو من الجن ..

كان (سوميا) حكيمًا ، يعرف قدره وقدرته جيدًا ، ويدرك أن عليه طاعة الله وإلا كان العقاب وخيمًا ..

ولذلك .. أنشأ مملكة الجن ، كانت مملكة واحدة ، غير مفرقة أو مشتتة ، حاول بقدر الإمكان أن يجعلها فى طاعة الله ، وذلك ليس تبجيلًا أو عرفانًا ، وإنما خوفًا من عقابه ..

ولكن كثر عدد الجان ، أصبح هناك فصائل و عشائر كثيرة ، منها الذى يمشى على خطى (سوميا) مطيعًا لله ، ومنها من أراد العصيان ، كعشيرة الغيلان وغيرها ..

انتشر الإجرام والقتل وسفك الدماء ، وغيرها من الآثام ..

حاول (سوميا) تحذيرهم من غضب الله ، ولكن لم يستمع إليه الكثير..

دارت حروب فيما بينهم من أجل السلطة والنفوذ ، وساد الفساد فى الأرض ..

واكتفى (سوميا) بأن يكون حكيمًا ، يقدم النصيحة دون التدخل ..

ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلًا

فقد جاء الأمر للملائكة بالإبادة ..

أرسل جيش من الملائكة بقيادة (رجُل الله) ، وهو أكثر الملائكة تقربًا إلى الله عز وجل ، وأقواهم على الإطلاق ..

وكانت حربًا ، ومجازر ، بالنسبة للجان ، تم محو عشائر كاملة ، ومنهم من فر هاربًا ..

(سوميا) اكتفى بالإختباء هو ومعشره المسالمين ..

ولكن عشيرة الغيلان كانت قوية ، استطاعت المقاومة بقوة وشراسة ، مما شجع بعض الفارين من العشائر الأخرى للإختباء وسط عشيرة الغيلان ، لحماية أنفسهم وأطفالهم ..

ولمن لا يعرف الغيلان ، فالغول كائنًا ضخم البنية ، له عضلات بارزة من جميع أجزاء جسده ، حتى وجهه ، يكسوه الشعر الأسود من رأسه حتى قدميه .. لا يتحدث ، فليس له شفاه يتحدث بها ، فقط أسنان

قوية عملاقة تأكل نصف وجهه السفلى .. شكلهم القبيح هذا ، يدل على مدى قوتهم وشراستهم ..

ولذلك ..

أرسل قائد الملائكة (رجُل الله) إليهم جيشًا جرارًا بقيادة واحد من أقوى جنوده ، وهو الملاك (لوسيفر)

، كان قويًا بحق ، لا يهاب شيئًا ، ولا يعرف الرحمة ..

استطاع بعد حرب شرسة ، راح ضحيتها العديد من الملائكة ، أن ينتصر على الغيلان ، بمساندة مساعده (ملك الموت) والذى كان يُعرف أيضًا بأنه مُقاتل صارم عنيد ..

قتلوا رجالًا وأطفالًا ونساءً من الجان ، من عشيرة الغيلان ومن يحتمى فيهم ، ولكن فى إحدى المخابئ ، وجد (لوسيفر) طفل صغير ، ليس من عشيرة الغيلان ، ولكنه من إحدى العشائر الأخرى ، كان يقف أمام (لوسيفر) دون خوف ، كان ينتظر الموت ، ولكنه يقف بصلابة ، لم يهرب أو يتحرك من مكانه ، بل كانت هناك نظرة غاضبة ، من عينيه المشتعلتين ..

كاد (ملك الموت) أن يفتك بالصغير ، ولكن (لوسيفر) أوقفه بإشارة من يده قائلًا:

- اتركه ، فأنا أريده ..

تردد (ملك الموت) قائلًا:

- ولكن أوامرنا هى الإبادة ، أن نقتل كل من نقابله من الجان ..

ينظر (لوسيفر) إلى (ملك الموت) بنظرة غاضبة :

- قلت لك اتركه ، ولا شأن لك بهذا الموضوع ..

بالفعل تركه (ملك الموت) ، فمال (لوسيفر) قليلًا ليقترب من وجه ذلك الصغير قائلًا:

- سوف يكون لك شأنٌ عظيم ..

علم (رجُل الله) بما فعله (لوسيفر) فغضب عليه قليلًا، ولكن فى النهاية تم السماح لذلك الجنى الصغير بأن ينتقل إلى العرش مع الملائكة ، لكى يعيش ويترعرع بينهم ، ويكون له شأن ومكانة كبيرة بين الملائكة ، وكل ذلك تحت رعاية (لوسيفر) ..

كان ذلك الصغير هو (الحارث) ، من فصيلة الشياطين .. تمتع بالذكاء ، وبما أنه لم يكن من الملائكة ، فقد كان مميزًا عن غيره ، وفى بعض الأحيان منبوذًا من صغار الملائكة الآخرين ، ولكنه لا يأبه بهم ، دائمًا

(لوسيفر) كان يشجعه ويقول له (يومًا ما ستكون الأفضل) ، ثم إن جميع كبار الملائكة – بلا استثناء – كانوا يهتمون به وبتعليمه ..

ولكن عندما خلق الله (آدم) ، أصابته الغيرة ، حيث حاز (آدم) على إنتباه الجميع ، وأصبح (الحارث) في المرتبة الثانية من حيث الاهتمام ، حتى جاء اليوم الذى أمر الله فيه الملائكة أن تسجد لـ (آدم) – بما فيهم (الحارث) الذي أصبح واحدًا من العائلة - سجد جميع الملائكة ، بما فيهم (لوسيفر) ولكن هذا الأخير أطاع الأمر على مضض ، أما (الحارث) فقد أبى واستكبر ، رفض السجود ، وعصى ..

وكانت تلك هى البداية ..

تحدى (الحارث) الله ، وتحدى الملائكة جميعًا..

لا يعلم إذا كان هذا التصرف ذكيًا أم لا ، ولكنه من البدء يكره الملائكة ، فهم من قتلوا عائلته ..

كان معجبًا بالإهتمام ولكنه يكرههم ، وكان ينوى العصيان فى يوم ما ، ولكن تلك اللحظة أتت الآن ، وهو ليس فى جاهزية تامة ، مما جعله يكره (آدم) وبنى جنسه من بعده ، لقد أجبره على اتخاذ قرار غي ليس فى محله ..

أخفى (لوسيفر) إعجابه بـ (الحارث) حيث أنه كان له من الشجاعة لعصيان الأمر مالم يكن لدي (لوسيفر) نفسه..الذي سجد بالرغم من أنه يرفض السجود لهذا المخلوق الطينى ..

قضى (الحارث) أيامه منتظرًا للعقاب ، هو يعلم أنه مقبل لا محاله ، ولذلك ، قرر البدء هو ، أن يثبت لله أنه ليس العاصى الوحيد ، وإنما مخلوقه المدلل هو أيضًا من الممكن أن يعصاه ..

لم ينتظر (الحارث) كثيرًا ، فقد حان وقت اختبار (آدم) و (حواء) من الله ، اختبار الطاعة وعدم العصيان ، كما اختبر الملائكة عندما أمرهم بالسجود إلى (آدم) ..

علم (الحارث) أن الله قد حَرّمَ على (آدم) وزوجته (حواء) ، أن يقتربا من إحدى شجيرات التفاح .. أو يأكلا ثمارها .. هو يدرك جيدًا أن تلك الشجرة ليس بها شيء ، وإنما هى مجرد اختبار لهما .. ولذلك حرص (الحارث) على أن يفشلا فى ذلك الاختبار..

كانت الشجرة كبيرة ، جميلة المنظر ، ثمارها ناضجة ..

فى يوم ما ، لاحظ (حواء) وهى تتطلع إلى الشجرة بإعجاب ..

وكانت تلك هى فرصته .. واستغلها أفضل استغلال ..

اقترب (الحارث) من (حواء) قائلًا وهو ينظر إلى الشجرة بإعجاب مصطنع :

- أليست رائعة ؟

شاردة فى جمال الشجرة أجابت (حواء) :

- نعم . لم أر أجمل منها فى تلك الجنة ..

يقترب (الحارث) من الشجرة متابعًا :

- لا يوجد شيء يمنعك من تلك الشجرة . فثمارها ناضجة ورائعة ..

ثم يقطف أحد ثمارها - وهى ثمرة التفاح – ويقضم منها قضمة . ويتلذذ بطعمها أمام (حواء) التى سال لعابها ..

- ولكن الله منعها عنا ..

قالتها (حواء) وهى تنظر إلى التفاحة فى يد (الحارث) .. فقال :

- إن الله يحبكما . وهذه مجرد تفاحة . لن يعاقبكما الله لمجرد أكلها !!

ثم يقطف ثمرة أخرى من الشجرة ، ويتقدم من (حواء) ويمد يده بها إليها ..

تتردد (حواء) :

- ولكن زوجى ..

يقاطعها (الحارث) :

- إنه زوجك ، وأنتِ الأدرى بكيفية إقناعه .. أطيعينى وخذى التفاحة ..

وأخذتها ..

كان بالفعل من السهل إقناع (حواء) لزوجها (آدم) بالأكل من تلك التفاحة ، فدلالها كبير عليه ..

بذلك ، استطاع (الحارث) أن يُثبِتَ قوته ، أن يجعل (آدم) و (حواء) يعصيا أمر الله ، بأكهم للتفاحة من الشجرة التى أمرهما الله ألا يقرباها ، وكانت النتيجة ، نزولهما من جنة الخلد إلى الأرض ، ليس وحدهما ، وإنما معهما (الحارث) الذى أصبح منبوذًا ، وسماه الله (إبليس) كما عُرف بين بنى البشر بعد ذلك ، ليبدأ تحديه الحقيقى مع الله ..

بعد نزول (آدم) و (حواء) إلى الأرض أنجبا توأمين ، (قابيل) وتوأمته (إقليما) و (هابيل) وتوأمته (لبودا) ..

وبعد مرور سنوات استطاع (الحارث) - أو (إبليس) كما ذكرنا من قبل - أن يثبت قوته مرة أخرى ..

جاء أمر من الله أن يتزوج (قابيل) بـ (لبودا) ، و (هابيل) بـ (أقليما) حيث حرم زواج التوأمين ، تمهيدًا إلى تحريم زواج الأخوة ببعضهما فى المستقبل ..

لم يكن للموضوع أهمية كبيرة بالنسبة إلى (قابيل) ، فالبنتين أجمل من بعضهما ..

ولكن (إبليس) لم يترك الأمر هكذا ، فهو ينتظر فرصة مثل تلك منذ سنوات ..

وسوس إلى (قابيل) – رغم تحذيرات (آدم) له ولأخوته من (إبليس) - وجعل توأمته (أقليما) هى الأحلى فى نظره ، هو أحق بها ، هى توأمته هو ، كانا معًا فى أحشاء واحدة ، ولذلك يجب أن يكونا لبعضهما .. هكذا قال له (إبليس) ..

ذهب (قابيل) إلى والديه غاضبًا :

- أنا أحق بـ (أقليما) من (هابيل) . فنحن توأمان من بطن واحدة ..

ولكن رد (أدم) جاء بالرفض . فلا يجوز لـ (قابيل) أن يتزوج من توأمته . وبالمثل أخيه (هابيل) . كما أمره الله . مما أدى إلى تفاقم الشعور بالكره والغيرة لدى (قابيل) ضد (هابيل) .. ولذلك لجأ (آدم) إلى الله يطلب منه السماح بجعل كل بنت من بناته لتوأمها ، وطلب من ولديه أن يقدما القرابين إلى الله .. ولكن الله لم يقبل قربان (قابيل) وعلى العكس تقبل قربان (هابيل) .. وبالتالى الرد جاء إلى (آدم) بالرفض ، وهذا الأخير لا يجرؤ على العصيان مرة أخرى ..

زاد الحقد عند (قابيل) تجاه أخيه ، حتى قام بفعلة لم يتوقعها أحد ، حتى (إبليس) نفسه .. لقد قام (قابيل) بقتل أخيه (هابيل) ليتزوج من (أقليما) ..

كان (إبليس) مستمتعًا بذلك النصر الذى فاق توقعاته ، صحيح أن (قابيل) ندم بعد ذلك ، وقام بدفن أخيه ، ولم يتزوج من (أقليما) وإنما تزوج من (لبودا) كما كان مقررًا له . ولكنه فى النهاية يُعَدُّ نصرًا كبيرًا لـ (إبليس) ..

مرت شهور قليلة ليأتى أخ آخر ، وهو (شيث) ويكبر ويتزوج بـ (أقليما)..

مرت سنوات أخرى . وكثر عدد البشر . ومات (آدم) ..

وفى تلك السنوات . كان (إبليس) قد أخذ مكانة رفيعة فى عالم الجن . واستطاع تكوين جيش له ..

وعندما مات (آدم) . ظن (إبليس) أنه يستطيع السيطرة على الأرض . و إبادة الإنس عن بكرة أبيهم . فأخذ سنوات طوال يستعد لذلك . وذهب إلى (سوميا) حكيم الجن . ليأخذ رأيه فى سيادة الأرض . ولكن كان رد (سوميا) هو الرفض . حيث – فى رأيه – أن عالم الجن به حروب بين القبائل . وانقسامات . وأنهم غير أقوياء بما فيه الكفاية . فيجب عليهم أن يتحدوا أولًا قبل الإقدام على تلك الخطوة الخطيرة . وإن كان (إبليس) قد شعر أن (سوميا) لا يريد الإقدام على تلك الخطوة مطلقًا ..

ولذلك ضرب (إبليس) بكلامه عرض الحائط . وأسر (سوميا) . وظهر بجيشه على سطح الأرض . وبدأ فى قتل الإنس . وبدأ الرحلة .. رحلته فى إبادة البشرية ..

ولكن ظهر (مهلاييل بن قينن بن انوش بن شيث بن آدم) وهو أحد أحفاد (آدم) الأقوياء ..

أسس (مهلاييل) مدينتين محصنتين . مدينة (بابل) و مدينة (السوس الأقصى) ليحتمى بهما الإنس من بطش (إبليس) وجيشه

من الجن . ثم أسس جيشه الخاص من الإنس . وكانت حرب طاحنة بين الجيشين ..

كان جيش (إبليس) قويًا بالفعل . استطاع أن يدخل مدينة (السوس الأقصى) ويقتل من يقتل . ويأسر من يأسر . وأخذها كحصن لمعشر الجن ..

حاول (مهلاييل) أنا يحافظ على مدينة (بابل) فهى حصنه الأخير . وقد فقد نصف جيشه . بينما (إبليس) يزداد

قوة ..

كانت الملائكة على علم بتلك الحرب . وغير راضين عنها . فأرسل (رجُل الله) رسولًا من حفظة الملائكة الموجودين فى الأرض . إلى (إبليس) . حيث قال له أن يعود إلى رشده . ويسحب جيشه وإلا تدخلت الملائكة..

ولكن (إبليس) قد غرته قوته وقتل ذلك الرسول . مما أغضب الملائكة ..

علم (سوميا) وهو فى أسره عمّا حدث . فاستطاع أن يتواصل مع أحد أعوانه . فكثير من الجن يحبون (سوميا) . ولكنهم يخافون من

(إبليس) وعشائره ، وخصوصًا عشيرة الغيلان ، التى اتحد معها (إبليس) وأستطاع أن يلم شملهم ..

امتد أعوان (سوميا) إلى داخل جيش (إبليس) وبالتواصل معهم ، قام (سوميا) بالتعاون مع (رجُل الله) عن طريق وسيط من الحفظة ، وأتفقوا على مساعدتهم ومساعدة البشر فى هزيمة (إبليس) وجيشه ، فى مقابل تركهم وعدم مطاردتهم بعد الحرب ..

وافق (رجُل الله) على تلك الصفقة ، وبمساعدة أعوان (سوميا) استطاع جيش الملائكة بقيادة (ملك الموت) وجيش (مهلاييل) من الإنس ، أن يدخلا مدينة (السوس الأقصى) والتى كانت أصبحت حصنًا لجيش (إبليس) وقتلوا العديد منهم ، وأصبحت الحرب تتجه إلى هزيمة (إبليس) وجيشه ..

ولكن كالعادة ، فعشيرة الغيلان كانت هى الأقوى ، استطاعت بقيادة (إبليس) أن تكون ندًّا قويًا ، وقضت على معظم جيش الإنس ، والكثير من جيش (ملك الموت) ..

لاحظ (رجُل الله) القوة الجبارة لعشيرة الغيلان بقيادة (إبليس) ، فأرسل جيش أخر بقيادة أقوى محاربيه والذى انتصر على الغيلان من قبل (لوسيفر) ..

وبالفعل ، استطاع (لوسيفر) أن يسيطر على تلك الحرب ، وقاتل بكل شراسة ، وهزم الغيلان للمرة الثانية ، وفى وسط المعركة ، كانت المواجهة المباشرة بينه وبين (إبليس) ، لم يقاتل أحدهما الآخر ، وإنما ظلا ينظران إلى بعضهما فى تحدٍ واضح ، ظلا هكذا لدقائق ، حتى تحدث (لوسيفر) قائلًا:

- اذهب بعيدًا ، لن أقاتلك ..

تردد (إبليس) قليلًا، حيث أنه تعجب من موقف (لوسيفر) ، هو يعلم أنه تربى على يديه ، ولكن أن يتركه بعد كل ما فعله ، كانت حقًا مفاجئة بالنسبة إليه ..

هرب (إبليس) من المعركة ، واتجه مباشرة إلى مكان (سوميا) حيث علم أن أعوانه هم الذين خانوه ، وقام بقتل (سوميا) .. وكان هذا أكثر تصرف أحمق قام به (إبليس) ..

فبقتله لـ (سوميا) و خسارته الحرب وتدمير عالم الجن ، أصبح

(إبليس) منبوذًا من معظم قبائل الجن ، بل ومُطَارَدًا منهم أيضًا ..

فهرب (إبليس) بعيدًا ولكنه لم ينسى حلمه بالسيطرة على كل شىء ..

استطاع أن يتزوج من بنى جنسه (إيليزابات) ، ليس حبًا فيها وإنما للبدء فى تكوين إمبراطورية خاصة به ، من نسله . ليس هذا فقط ، وإنما نجح أيضًا فى استقطاب عدد من قبائل الجن الذين تصيبهم نفس الأطماع ، منهم (الشماشقة الغاوون) و (الطماطمة) و (الدناهشة) وغيرهم من القبائل ..

ولكن ليس هو فقط من كان يطور من نفسه ..

ففى تلك السنوات كان عالم الجن أيضًا يتطور ، ويكبر ، ويصبح أقوى..

خاصة عندما ظهر ملوك الجن السبعة ، وهم أشدهم قوة وسيطرة على عالم الجن..

وبالتالى سوف تكون تلك أكبر عقبة فى عالمه لتنفيذ مخططه ..

أو بالأحرى ..

لتحقيق أحلامه التى حارب الجميع بلا استثناء لتحقيقها ..

(6)

استيقظ (جاسر) من نومه على صوت المنبه . فتح عينيه بصعوبة . ومد يده ليُخرس ذلك الرنين المزعج . قبل أن يتأفف فى ملل ، وكأنه يقول :

- مللت من الاستيقاظ مبكرًا ..

كانت غرفة نوم عادية لا يميزها شىء ، وهو ممدد على الفراش . وعلى يمينه خزانة ملابس كبيرة . أما منضدة الزينة التي تعلوها مرآة..فهى أمامه مباشرة ، مما أتاح له أن ينظر إلى وجهه الناعس فى المرآة..

زوجته استيقظت بالفعل . لاحظ من المرآة . عندما لم يراها إلى جواره . فهى بالتأكيد تساعد ابنتهما الآن لكى تذهب إلى المدرسة . فاليوم هو أول يوم لها فى المدرسة .. وحتى لو لم يكن كذلك . فـ (أمال) تستيقظ فى المعتاد باكرًا ..

ابنته (ريم) ذات السبع سنوات . لقد تقدمت إلى المدرسة متأخرة سنة . وذلك لأنها لم تتم عامها السادس إلا بعد غلق التقديم فى المدارس ..

كم يعشق تلك الفتاة ..

أعتدل جالسًا على حافة الفراش ، لابد أن يذهب إليها الآن حتى يوصلها بنفسه إلى المدرسة ، ويعطيها خمس جنيهات مصروف يدها ..

ارتدى ملابسه في عُجالة ، بعد أن أنهى طقوسه المعتادة التى تلى استيقاظه من النوم – غسيل وجهه وما إلى ذلك – خرج إلى الصالة ، وهي صالة متوسطة الإتساع ،مقسمة إلى جزئين..أحدهما للطعام والأخر للاستقبال ..الذى يحتوى على جهاز التلفاز..ومكتبة متوسطة الحجم...

كانت (ريم) تقف جوار باب الشقة المفتوح مستعدة للذهاب ، بينما (أمال) تضع لها فطورها داخل حقيبتها التى تحملها على ظهرها ..

- ما كل هذا النوم ؟!! ، كنت سأذهب من غيرك ..

قالتها (ريم) وهى تبتسم ، فيبتسم إليها (جاسر) هو الآخر قائلًا:

- كيف ذلك !! لا يصح أن تذهب أميرتى الصغيرة وحدها في أول يوم لها بالمدرسة ..

ثم قبّلَها على وجنتها .. فتضحك (ريم) قائلة وهى تخرج من باب الشقة ركضًا :

- إذًا فهيا بنا ، سوف أتأخر..

اختفى (ريم) ، مع سماع صوتها وهى تنزل من على الدرج مسرعة ، بينما (جاسر) ينظر إلى (أمال) قائلًا:

- سوف أوصلها ، ثم أذهب إلى العمل ..

تومئ (أمال) برأسها إيجابًا قائلة :

- أنا أيضًا ، بعد ساعة ، سوف أذهب إلى المكتبة ..

- حسنًا ، سأتصل بكِ لاحقًا ..

ثم يُقَبِّلُهَا ، قبل أن يذهب خلف ابنته (ريم) ..

***

(جاسر) كان يعمل بإحدى الشركات الحكومية ، موظف عادى ، بالكاد يكفيه مرتبه للعيش ، ولكنه استطاع أن يوفر ثمن سيارة 128 مستعملة من قبل ، وأن يتزوج من (أمال) التى قابلها في إحدى المكتبات الحكومية ، حيث تعمل (أمال) بها أمينة مكتبة ..

بمرتبيهما ، عَمِلا سويًا للحفاظ على ترابطهما ، وتربية إبنتهما (ريم) التى رزقهما الله بها ..

بعد إيصال (ريم) إلى المدرسة بسيارته ، كان فى طريقة إلى عمله ، كان مشغولًا يفكر فى مصاريف الدراسة التى أُضيفت إلى واجباته ، ولكن جذب انتباهه ذلك الطفل الواقف على جانب الطريق ..

طفل صغير يبتسم إليه ويصوب إلى عينيه انعكاس ضوء الشمس ، عن طريق مرآة ، مما أغشى عينيه لثوانى ..

كانت مجرد ثوانى معدودة ، ولكنها كانت كافية حتى لا يلاحظ ذلك التقاطع ، وتلك الإشارة الحمراء ..

من الغريب أن تجد طفلًا مبتسمًا وهو ينظر إلى حادث سيارة بشع !!

***

(رأفت) .. هو الأخ الأكبر لـ (جاسر) ، فى الأربعينات من عمره ، لم يكمل تعليمه ، ولكنه يتمتع بذكاء فطرى ، فقط يرعى أرضه ، يكسب رزقه منها ، لكى يستطيع العيش هو وزوجته ..

متزوج من (نبيلة) ، سيدة منزل ، لا تنجب أطفال ، مما جعل بعض المشاكل بينهما ، أو بالأخص ، مشاكل من جانبها هى ، حيث أنها – كأى امرأة مصرية – تتصور أن بسبب عقمها هذا ، سوف يتركها زوجها فى يوم ما أو يتزوج عليها ، ولكن (رأفت) كان يعشقها ، لن ولم يفكر فى

أن يتزوج بأخرى ، هو بالفعل يريد الإنجاب ، ولكن يريد ذلك منها هى ، لا من غيرها ..

اعتبر (ريم) بنت أخيه ، ابنته هو ، وخاصة بعد موت (جاسر) حيث قام بتربيتها ، والاهتمام بها ..

ولكن بُعد المسافة بينهما ، جعلت الزيارات تقل تدريجيًا ، حتى أصبحت منعدمة تقريبًا ، وذلك بعد أن كبرت (ريم) وأصبحت تستطيع الإهتمام بنفسها ، وبالتالى كانت مفاجأة له هذا الصباح ، عندما جاءت إليه (ريم) فى زيارة مفاجأة ..

- اعتذر عن مجيئى دون سابق إنذار ..

كانت تقف أمام الباب المفتوح ، بينما يتطلع إليها (رأفت) بنظرة ناعسة متعجبة ..

- لا بالطبع ، فهذا بيتك ، تأتى إليه فى أى وقت .

قالها (رأفت) وهو يدعو (ريم) إلى الدخول ..

لم تستطع (ريم) النوم ليلة أمس ، ظلت تفكر ، ما هذا الذى يحدث معها ومع والدتها ؟!! ولذلك قررت أن تُدخل عمها فى الأمر ، لعله يعلم شيئًا ما ..

وبالفعل ، فور بزوغ الفجر ، ذهبت إلى عمها (رأفت) فهو يسكن فى البلد جوار المقابر..

قررت أن تقص عليه كل شيء ، تخبره عن حيرتهما فى موضوع موت والدها ، وكيفية حدوث ذلك ..

تقول له عن ذلك الحارس (طاهر) والذى اكتشفت أنه ميت منذ ثماني سنوات أو أكثر ، وإخباره لها عن زيارة والدتها للمقابر قبل أن تحدث ..!!

ولكن بعدما انتهت من كل هذا ، كانت إجابته هي الحيرة !!

تطلع إليها ولا يعلم بماذا يجيب ؟!!

فهو أيضًا لا يدرك كيف مات أخيه ، جال بخاطره هذا السؤال من قبل ، وكانت نفس النتيجة ، ولكنه ظن أنه عامل السن ، ولم يفصح عن ذلك حرجًا ..

- وهل ذهبت والدتك إلى المقابر بعد أن تحدثتى إليها ؟!!

قالها (رأفت) وهو يرتشف الشاى فى الخلاء ، حيث ذهبا - هو و (ريم) - إلى الغيط ، حتى يتحدثا بِحُرِّيَة ..

- لا ، لقد نبهتها ألا تذهب وحدها ، وأننى سوف أذهب معها ..

صمت (رأفت) قليلًا مفكرًا ، واحترمت (ريم) ذلك ..

كان حائرًا ، ولكن لابد من وجود سبب لكل هذا ، يجب أن يفكر فى كل موضوع على حده ..

بالنسبة لذلك الشبح التى رأته (ريم) ، سوف يترك لها مهمة البحث فى هذا الأمر ، وذلك عن طريق أى معلومة على الإنترنت أو في بعض الكتب ، فهى الأفضل فى هذا الأمر .. أما بالنسبة لفقدان الذاكرة ، قال :

- حسنًا ، فى البداية سوف نذهب إلى دكتور (حسن) ..

تنظر إليه (ريم) متسائلة ، فيجيبها قائلًا:

- دكتور (حسن) هو من أفضل أطباء القرية ، من الممكن أن يفيدنا فى أمر فقدان الذاكرة هذا حول وفاة (جاسر) ..

- ثم ؟!!..

يفكر (رأفت) قليلًا، قبل أن يقول حائرًا :

- لا أدرى ، ولكن دعينا نبدأ أولًا ..

***

قالت لإبنتها أنها لن تذهب إلى المقابر، ولكن هذا لم يكن خَيَارًا، وإنما هو شيء لابد أن تفعله !!

لم تخبر (أمال) (ريم) عما رأته فى كابوسها، وإنما سبب زيارتها للمقابر – على حد قولها – ما هو إلا بحث عن تفسير لعدم تذكرها سبب وفاة (جاسر) ..

منذ أكثر من ساعتين، جاءتها (ذات الشعر الأحمر)، وأمرتها أن تذهب إلى المقابر الآن ..

لم تحاول المجادلة، وإنما نفذت الأمر فى الحال، ارتدت ملابسها وأخذت أول وسيلة مواصلات قابلتها إلى المنوفية ..

تقف (أمال) الآن أمام المقابر ..

لم تفكر فى ذلك الوقت أن ابنتها متواجدة فى نفس المكان، ومن الممكن أن تشاهدها، وبالتالى ستغضب منها، لأنها لم تنفذ طلبها فى عدم المجئ ..

حيث أن (ريم) حدثتها هاتفيًا قبل الغروب بدقائق، وأكدت عليها مطلبها فى عدم الذهاب، وأخبرتها أنها ذهبت هى وعمها إلى أحد الأطباء لمشورته فى أمر فقدان الذاكرة، ولكنه كان غير متواجد، لذلك سوف تبيت عند (عمها) ..

تتطلع إلى مدخل المقابر وضوء القمر المنعكس على السور ..

تشعر برهبة، بخوف و..

- لماذا تأخرتِ ؟

تنتفض وتنظر خلفها إلى مصدر الصوت، لتجد رجلا كهلاً، وقورًا، يرتدى الجلباب الأسود، وله لحية سوداء تصل حتى صدره، يقف صلبًا ويبتسم إليها بثقة ..

- لا تقلقى، أنا الملك ميمون أبانوخ ..

لا تقلق ؟!!! تلك المعلومة ترعبها أكثر !!!

- نحن نستطيع تغيير أشكالنا كما نشاء ..

تبتلع لعابها بتوتر..

- أعلم ذلك، لقد قرأت عن هذا من قبل ..

لا يهتم (ميمون) بما قالته، وإنما تابع كلامه :

- سوف أكون والدك.

- نعم ؟!!!

- أمام حارس المقبرة، سوف أكون والدك (عبد الرحمن) ..

تومئ برأسها إيجابًا ، وبصمت .. يسيران جوار بعضهما حتى وجدًا بصيصًا من الضوء قادم من إحدى الغرف القريبة ..

كانت تلك هى غرفة حارس المقابر ، الذى اتضح أن اسمه (محمود طاهر) ..

بعد نقاش وجدال حول موعد الزيارة ، حيث أنه من الغريب التواجد فى المقابر فى مثل هذا الوقت ، استطاعت أن تقنعه (أمال) بالذهاب إلى مقبرة عائلة زوجها (جاسر) - التى لم تكن تعلم مكانها – وذلك عن طريق إعطاءه بعضًا من المال ..

كان (ميمون) المتشكل فى هيئة (عبد الرحمن) ، لم ينطق بكلمة واحدة ، وإنما علامات التركيز مرتسمة على ملامحه ، خاصة عندما أصبح على مقربة من المقبرة ، حيث كان (محمود) يقوم بفتح بابها الصغير ..

مرت اللحظات كالدهر .. وأخيرًا فُتحت المقبرة ، فنظر إليها (محمود) قائلًابتوتر بالغ :

- فلتنتهيا سريعًا ، لا أريد الوقوع فى مشاكل ، أمامكما عشـ....

ولكنه لم يكمل عبارته ، فالانفجار الذى حدث على بوابة المقبرة ، أطاح به عدة أمتار قبل أن يستقر جسده الساكن على الأرض !!!

(7)

يقف مرتبكًا ، معطيًا ظهره إلى ذلك الضوء الساطع ..

- لا أعلم ماذا أقول ، لقد كنت أتمنى لقياك منذ زمن ..

- لقد اقتربت مواجهتك مع إبليس ، ويجب عليك ألا تخسر ..

***

استيقظ (جاسر) من نومه على صوت المنبه ، فتح عينيه بصعوبة ، ومد يده ليُخرس ذلك الرنين المزعج ، قبل أن يتأفف فى ملل ، وكأنه يقول :

- مللت من الاستيقاظ مبكرًا ..

كانت غرفة نوم عادية لا يميزها شىء ، وهو ممدد على الفراش ، وعلى يمينه خزانة ملابس كبيرة ، أما منضدة الزينة التي تعلوها مرآة..فهى أمامه مباشرة ، مما أتاح له أن ينظر إلى وجهه الناعس فى المرآة ..

زوجته استيقظت بالفعل ، لاحظ من المرآة ، عندما لم يراها إلى جواره ، فهى بالتأكيد تساعد ابنتهما الآن لكى تذهب إلى المدرسة ،

فاليوم هو أول يوم لها فى المدرسة .. وحتى لو لم يكن كذلك ، فـ (أمال) تستيقظ فى المعتاد باكرًا ..

ابنته (ريم) ذات السبع سنوات ، لقد تقدمت إلى المدرسة متأخرة سنة . وذلك لأنها لم تتم عامها السادس إلا بعد غلق التقديم فى المدارس ..

كم يعشق تلك الفتاة ..

أعتدل جالسًا على حافة الفراش ، لابد أن يذهب إليها الآن حتى يوصلها بنفسه إلى المدرسة . ويعطيها خمس جنيهات مصروف يدها ..

ارتدى ملابسه فى عُجالة ، بعد أن أنهى طقوسه المعتادة التى تلى استيقاظه من النوم – غسيل وجهه وما إلى ذلك – خرج إلى الصالة ، وهى صالة متوسطة الإتساع ،مقسمة إلى جزئين..أحدهما للطعام والأخر للاستقبال ..الذى يحتوى على جهاز التلفاز..ومكتبة متوسطة الحجم...

كانت (ريم) تقف جوار باب الشقة المفتوح مستعدة للذهاب ، بينما (أمال) تضع لها فطورها داخل حقيبتها التى تحملها على ظهرها ..

- ما كل هذا النوم ؟!! ، كنت سأذهب من غيرك ..

قالتها (ريم) وهى تبتسم ، فيبتسم إليها (جاسر) هو الأخر قائلًا:

- كيف ذلك !! لا يصح أن تذهب أميرتى الصغيرة وحدها فى أول يوم لها بالمدرسة ..

ثم قبّلَها على وجنتها .. فتضحك (ريم) قائلة وهى تخرج من باب الشقة ركضًا :

- إذًا فهيا بنا ، سوف أتأخر..

تختفى (ريم) ، مع سماع صوتها وهى تنزل من على الدرج مسرعة . بينما (جاسر) ينظر إلى (أمال) قائلًا:

- سوف أوصلها ، ثم أذهب إلى العمل ..

تومئ (أمال) برأسها إيجابًا قائلة :

- أنا أيضًا ، بعد ساعة ، سوف أذهب إلى المكتبة ..

- حسنًا ، سأتصل بكِ لاحقًا ..

ثم يُقَبِّلَها ، قبل أن يذهب خلف ابنته (ريم) ..

***

بعد إيصال (ريم) إلى مدرستها ، انطلق (جاسر) بسيارته ذاهبًا إلى عمله ، كان مشغولًا يفكر فى مصاريف الدراسة التى أُضيفت إلى واجباته ..

فجأة ، نظر إلى جانب الطريق ، فهو يشعر أن شيئًا ما كان هنا ، شىء لفت انتباهه من قبل .. !!

ثم انتبه فجأة إلى تلك الإشارة الحمراء ، ليتوقف ويتعالى صوت الإطارات إثر إحتكاكها الحاد ..

لم تكن تلك هى الحادثة الأولى التى يتعرض إليها اليوم ، فمن حادث سيارة وشيك مرورًا بذلك المصعد المعطل ، والذى كاد أن يسقط من الدور العاشر بسببه ، عندما طلب المصعد وقبل أن يخطو إلى الداخل ، فوجئ بعدم وجوده .. !!

ولكنه انتبه إلى ذلك فى اللحظة الأخيرة ..

كان يوم عمله مملًا كالمعتاد ، لم يفعل شيئًا تقريبًا ، سوى التوقيع على بعض الأوراق ..

يتثائب فى تكاسل .. يذهب إلى الحمام .. يغسل وجهه أمام المرآة ..

لم ينتبه أو حتى يشعر بذلك الثعبان الصغير الذى تسلل إلى داخل سرواله من الأسفل ..!!

فقط .. شعر بلدغته ..

***

يقف (جاسر) مندهشًا ، يتطلع إلى تلك الشاشة العملاقة ، التى تتوسط السماء ، حيث أنها تعرض حياته هو ، أو بالأحرى ، لحظة وفاته ، لقد مات أكثر من مرة ، وبعدة طرق مختلفة !! .. حادث سيارة .. كهرباء .. عطل فى المصعد .. تعددت الطرق .. ولكنه يموت فى النهاية..

- أنا لا أفهم شىء ؟!! هل أنا ميت الآن ؟!!

قالها (جاسر) وهو يتطلع إلى (الأنيق) متزعجًا ..

ترتسم علامات الجدية على وجه (الأنيق) قائلًا:

- أنت ميت بالفعل ، لقد مت أكثر من مرة ، ولكننا كنا نساعدك للعودة مجددًا ..

- لماذا ؟!!

- سوف تعرف ذلك وحدك ..

- كيف ؟!!

- ستكتشف ذلك .. عندما تُبعث مرة أخرى ..

***

أين تذهب الروح عندما يموت الإنسان ؟!!

سؤال لا يعلم إجابته بشري . فالروح لغز من ألغاز هذا الكون .. لغز لا يمكنك تفسيره . احتار الإنسان فيه كثيرًا . ولكن عندما نفخ الله الروح في (آدم) كان هناك ملائكة متواجدون . ومن بينهم (إبليس) شاهدوا الروح وهي تدخل في الجسد الصامت لتَدُب فيه الحياة .. لا يعلمون كيف خُلقت . ولكنهم رأوها وهي تدخل في الجسد . وسوف يروها أيضًا وهي تخرج منه .. لا يعلمون ما هي . ولكنهم يستطيعون أسرها . لمسها . تعلموا ذلك . عندما كان يريهم الله قدرته وعظمته ..

أما (إبليس) فقد علم أتباعه فيما بعد كيفية فعل ذلك .. وبالتالي لن يكون صعبًا عليك أن ترى وتأسر روحا ما لو كنت جنيا أو ملاكا . لن يكون سهلًا . ولكنه ممكنًا ..

لم يكن الوضع هادئًا كما رأت (أمال) في المقابر.. فمنذ وصولها، احتشد المكان بالجن من قبائل مختلفة، وعندما ظهر (ميمون أبانوخ) وقف الجميع احترامًا وخوفًا في نفس الوقت..

تقدمتهم (أمال) بالدخول إلى المقابر، وكأن التعليمات أن يكون الجميع بالخلف، حتى (ميمون) نفسه لم يتقدم خطوة واحدة عن (أمال)، وإنما حافظ على مسافة خلفها.. وكلما اقتربوا من قبر (جاسر)، انضم إليهم العديد من الجن الموجود منذ البداية في المقابر، وعلى وجوههم – بَشِعَة المنظر - التأهب والاستعداد، وكأنهم مقبلين على حربٍ ما..

وعندما وصلوا إلى قبر (جاسر)، برفقة حارس المقابر (محمود)، كان هناك حشدٌ آخر ولكنه حشدٌ من الملائكة، تحديدًا من الحفظة.. كانوا يحومون في حذر وترقب، يدافعون عن هذا القبر بالأخص..

اندفع بعض من الجان للاشتباك مع الملائكة، ولكنهم بمجرد الاقتراب من القبر.. احترقوا، فأشار (ميمون) غاضبًا، إلى البقية بالتوقف..

انتظر حتى اقتربت (أمال) أكثر، وأصبحت وسط الملائكة، وبدأ (محمود) في فتح باب القبر..

تحركت الملائكة بعشوائية وقلق، فبقدوم (أمال) وعبورها ذلك الحاجز الغير مرئي مع (ميمون أبانوخ)، أصبح ذلك الأخير مدعوًا، وبالتالي يستطيع الدخول إلى المقبرة مع رفاقه..

- فلتنتهيا سريعًا، لا أريد الوقوع في مشاكل، أمامكما عشـ...

لم يُكمل (محمود) – المسكين – تلك العبارة، حيث حاول البعض من الجن - بإشارة من (ميمون) – دخول المقبرة عبر الجزء الذي تم فتحه، ولكن تحرك البعض من حفظة الملائكة أيضًا، حيث كان الاصطدام والالتحام بينهم، مما أدى إلى ذلك الانفجار الذي أطاح بـ (محمود) بعيدًا لعدة أمتار، وصرخت (أمال) صرخة مكتومة قبل أن تتجه إلى جسد (محمود) الممدد على الأرض، لتكتشف أنه قد فارق الحياة بالفعل، فنصف وجهه كان محترقًا بشدة، ويخرج منه رائحة الشواء ..

تُقتلع بوابة المقبرة بدوي هائل من مكانها، لتسقط بالقرب من (أمال) التي تنظر إلى (ميمون) ولكنها لا تجده، لقد اختفى ... وكانت تلك فرصة مناسبة لتركض متجهة إلى خارج المقابر..

لم يُعِرْها (ميمون) انتباهًا، لقد نال مراده بالفعل ..

عندما اقتُلِعَ باب المقبرة، ظهر جسد (جاسر) ملفوفًا في كفنه، ممددًا على الأرض، وبجواره صندوق في حجم جسده، ويقف لحراسته مَلَكان .. التوأمان (منكر) و(نكير) .. فقد كانا صورة طبق الأصل من بعضهما، وجهيهما مرعب الشكل، أو هكذا تشكلا .. فعلى الأرض، قد تأخذ الملائكة أشكالًا غير أشكالها الحقيقية مثلها مثل الجان ..

كانت مجرد لحظة واحدة من الصمت، قبل أن تبدأ المعركة ..

اقتحم (ميمون) ورجاله المقبرة، واشتبكوا مع الملائكة المحيطين، بينما تولى (ميمون) أمر الملكين (منكر) و(نكير)، كانا شرسين بالفعل، ولكن (ميمون) كان الأقوى، كان يصد هجماتهما، ويكيل إليهما الضربات في نفس الوقت ..

الهدف ؟

كان الصندوق .. معركة شرسة من أجل ما بداخل الصندوق ..

معركة من أجل الروح .. روح (جاسر) ..

غلب المَلَكانِ التعب، فـ (ميمون) خصم شرس لا يُستهان به ..

ولكنهما فجأة توقفا .. ثم انطلقا مسرعان خارج المقبرة ..

ليس هما فقط، وإنما انسحب جميع الملائكة في موقف غريب، تاركين الصندوق بدون حراسة !!

لم يندهش (ميمون) كثيرًا .. وإنما اقترب من الصندوق وقام بفتحه .. ليجده فارغًا ..

ثم شعر بحركة خفيفة خلفه ..

ينظر إلى مصدر الصوت .. ليجد (جاسر) واقفًا ، عاريًا تمامًا، وعلى وجهه علامات الحيرة البالغة ..

فقد كان يقف جوار جثمانه الملفوف داخل كفنه .. !!

(8)

- الآن من الممكن أن نشارك ، ولكن لاحقًا ، لن أسمح بذلك ، من الجانز أن نساعد ، ولكننا لن نتدخل كليًا ، سوف تكون حربكم ، وليست حربنا .. ولذلك لابد من حمايتك .. أنت وذريتك ..

***

يقف (الأنيق) أسفل الشاشة التى تتوسط السماء كما هو ، بينما اختفى (جاسر) ..

تقترب منه فتاة ، بيضاء البشرة ، وشعرها أسمر لامع ، طويل وناعم ، ينسدل على ردائها الأبيض الفضفاض ..

- ولكن ما جدوى كل هذا ؟!! هو لن يتذكر شيئًا مما حدث !!

قالتها (الفتاة) بهدوء ، دون أن يرتسم على وجهها أى تعبير ..

- لن يتذكر تفاصيل ما مر به ، ولكنه بالتأكيد سوف يشعر بالطريق الصواب .. سوف يتذكر – ولو قليلًا – شعوره بعذاب النهاية ..

- وهل تتوقع له النجاح ؟!

يتطلع إليها (الأنيق) قائلًا بصرامة :

- لا مجال هنا للتوقع .. لابد أن ينتصر ..

***

تائهًا فى الظلام ..

لا يعلم أين هو .. لا يعلم أين كان ..!!

فقط ظلام ..

ثم بصيص من الضوء ..

كان قليلًا ، خافتًا ، ولكنه كافيًا ليغلق عينيه متألمًا ..

يفتح عينيه ببطء ليجد أمامه كفن ، صندوق خشبى ، وشخص يقف أمام الصندوق ، أو بالأحرى ، شىء مُشعِر عملاق ..!!

لم يلاحظ تلك الكائنات الأخرى بالمكان ، فذلك المسخ - ميمون أبانوخ- كان كافيًا لجذب انتباهه .. وخاصة عندما نظر إليه بعينيه الحمراوين المشقوقتين مثل الثعابين ..

- كيف ظهرت ؟!!! فروحك لم تصعد بعد ؟!

يتطلع (جاسر) إلى (ميمون) بدهشة وخوف ، غير مستوعب حتى الآن أين هو ..

- أنا فى الجحيم ؟!!

يبتسم (ميمون) ..

- لا ، ولكنك سوف تذهب إليه ..

***

وسيم ، طويل القامة ، فى أوائل الثلاثينات ، يهتم بأناقته حتى وهو يرتدى البالطو الأبيض ، وتلك النظارة الطبية ، زادته جمالاً..

هذا ما جال بخاطر (ريم) عندما رأت دكتور (حسن) فى عيادته البسيطة ..

- تفضلوا .. لقد أخبرتنى السكرتيرة عن قدومكما بالأمس ..

قالها (حسن) وهو يشير إليهما بالجلوس ..

لم تكن العيادة فخمة ، كان مكتبه عبارة عن غرفة صغيرة ، تحتوى على مكتب ومقعدين أمامه ، وهناك سرير لا يتجاوز المتر والنصف فى أحد الأركان ..

يصافحه (رأفت) ثم (ريم) قبل أن يجلسا أمامه على المقعدين ..

- بالفعل ، لقد أتينا بالأمس ، فنحن نحتاج إليك فى استشارة طبية ، ولكنها غريبة نوعًا ما ..

يبتسم إليه (حسن) قائلًا..

- كلى آذان مصغية ..

ينظر (رأفت) إلى (ريم) وكأنه يحثها على الحديث ويلقى على كاهلها عناء الشرح .. فتتنحنح (ريم) قبل أن تبدأ بالكلام ..

- أعتقد يا دكتور (حسن) أننى مصابة بمرض فقدان الذاكرة..

تتسع ابتسامة (حسن) ..

- اتركى لى أمر التصنيف ، فقط حدثينى عن الأعراض ..

- لقد توفى أبى منذ فترة كبيرة ، ولكنى لا أتذكر متى ، أو كيف مات ، لا أتذكر حتى يوم العزاء ، لا أتذكر أى شيء يخص وفاته ..

يفكر (حسن) قليلًا قبل أن يتسائل ..

- ما أخر شيء تتذكرينه عن والدك ؟

- عندما كنت طفلة ، وكان أول يوم فى الدراسة ، وقام هو بتوصيلى بالسيارة إلى المدرسة .. بعد ذلك اختفى من حياتى و ذاكرتى ..

يعتدل (حسن) فى جلسته ، ويعدل من موضع نظارته ، وهو يسألها مستفسرًا :

- وفيما عدا حدث الوفاة وما يتعلق به ..هل هناك فترة أو أحداث أخرى مفقودة من ذاكرتك أو لا تتذكرينها بوضوح ؟

- كلا..هذا فقط..وعلى الرغم من هذا فأنا أذكر كل شيء يتعلق بوالدي قبل وفاته بوضوح تام..

أومأ (حسن) برأسه متفهمًا , ثم قال في هدوء ..

- حسنًا , لا يوجد تشخيص قاطع في مثل هذه الحالات من مجرد زيارة واحدة ولكن مبدئيًا ، أعتقد أن ما تعانين منه هو نوع من أنواع فقدان الذاكرة الانشقاقي..

- ال(ماذا) ؟

- الانشقاقي..أو بمعنى أبسط..فقدان ذاكرة لأسباب نفسية بحتة ، بمعنى أنه يوجد حادث مأسوى فى حياتك ، وهو موت والدك ، فعقلك الباطن رافض أن يتذكر تلك اللحظة ، أو بمعنى أخر أنتِ ترفضين تذكر تلك اللحظة دون وعي منك..لأنها مؤلمة جدًا بالنسبة لك .. ولكن لا تقلقى ، فعلاجها ممكن جدًا ، وأول خطوة فى العلاج هى أن تقص والدتك عليكى تلك التفاصيل ، أو أى شخص يعلمها .. وهناك أيضًا بعض الأدوية سوف تواظبين عليها ، غير المواظبة على عدة جلسات معى هنا فى العيادة ..

بدأ فى كتابة شيء فى الروشتة ، بينما تنظر (ريم) إلى (رأفت) ..

- ولكن يا دكتور ، هذا لو كانت وحدها من لا يتذكر..

قالها (رأفت) بحذر.. ليلتفت إليه (حسن) متسائلًا .. فيتابع (رأفت) مرة أخرى بنفس الطريقة ..

- جميعنا لا نتذكر موت (جاسر) .. أنا أخوه ، ولكنى بالفعل أقف حائرًا عند تلك النقطة ..!!

***

كأنه كهف فى الصحراء ، ولكن رماله حمراء .. جو قاتم .. أشكال عجيبة ، مخيفة .. ولكنها وديعة جدًا إذا قورنت بشكل ذلك الشىء الجالس على العرش ، بقرنيه الحمراوين ..

(جاسر) لا يعلم لماذا جاء هنا أو كيف ، لقد كان فى مقبرة مع ذلك الكائن ذو الشكل البشع – لا يعرف أيضًا كيف ذهب إلى تلك المقبرة - ولكنه الآن أيقن أن هناك العديد من الأشكال القبيحة ، لقد اختفى مع ذلك الكائن ليجد نفسه هنا فى هذا الكهف ..

(إبليس) يجلس على العرش .. تقف جواره (ذات الشعر الأحمر) (وهى – بالمناسبة - زوجته إليزابات) .. وحوله بعض الحراس من الغيلان .. بينما يقف بجوار (جاسر) ، (ميمون أبانوخ) ..

- إذًا فأنت الآن من معشر الجن ؟

قالها (إبليس) بصوت انكمش منه الجميع خوفًا ..

لم يجيبه (جاسر) ، فهو لا يعلم معنى كلامه لكى يرد عليه !! فقط اكتفى بنظرة الخوف ..

يضحك (إبليس) فجأة .. قائلًا:

- لا تقلق يا صغيرى .. فأنت الآن مع رب الكون الجديد ..

***

أدرك (إبليس) منذ اللحظة الأولى ما حدث لـ (جاسر) ..

طوال تلك السنوات كان يحاول امتلاك روح (جاسر) قبل أن تصعد إلى السماء ، ولكنه كل مرة كان يفشل ..

كان يتسبب فى موت (جاسر) بطريقة أو بأخرى ، ولكنه كان يفشل فى حبس روحه ، فينجح الملائكة فى إعادة الروح إلى الجسد مرة أخرى ..

من الواضح أن الملائكة قد ملّوا ، أو كما هو واضح بدأت حياة أسرة (جاسر) تنهار ..

لقد مر عليهم موت (جاسر) مرات عديدة .. مما أدى إلى حذف ذلك الجزء من ذاكرتهم .. فالعقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل تلك الأمور .. فكلما أبتعدنا عن المنطق ، يتشتت العقل ..

لجأ الملائكة إلى حل آخر وخطير ..

وهو دمج روح (جاسر) بقرينه من الجن ..

وهذا – بعكس ما يجول فى خاطر الملائكة وكبيرهم رجُل الله – يعتبره (إبليس) مكسب له . فمجرد ظهور قرين (جاسر) هذا مكسب فى حد ذاته ..

حقًا هو لا يستطيع قتل (جاسر) أو يكون سببًا فى موته . حيث أنه لا يستطيع قتل القرين إطلاقًا .. فالقرين خالد لا يموت ..

ولكنه الآن فى قبضته . يستطيع أن يفعل به ما يشاء . أو على الأقل منعه من فعل أى شيء ..

خاصة أن (جاسر) لا يعلم حتى الآن قدراته . أو حتى دوره . ولابد ألا يعلم ..

هذا ما جال بخاطر (إبليس) وهو يجلس على عرشه بذلك الكهف . بعد خروج الجميع . وأمره بسجن (جاسر) ووضع حراسة مشددة عليه ..

ولكنه يخرج من شروده عندما ظهرت تلك النقطة البيضاء المضيئة أمامه وسط الكهف ..

اعتدل بحذر . حيث تلك النقطة أخذت تتسع . حتى تشكلت فى شكل رجل كامل البياض . ذو شعر طويل ناصع البياض . وله جناحين كأجنحة نسور عملاقة . منطويين على ظهره ..

ولكنه تنهد بارتياح جزئى عندما اتضحت معالم الشخص قائلًا بصوت هادر مستنكر ..

- لوسيفر ؟!! ماذا تفعل هنا ؟!!

ابتسم (لوسيفر) قائلًا وهو يتحرك فى الأرجاء بثقة ..

- حقًا .. الأبالسة لا تتمتع بروح الترحاب ..

- أنت تعلم أن ظهورك فى ذلك الوقت خطر عليك . بل علينا كلنا ..

تتحول ملامح (لوسيفر) إلى الجدية قائلًا..

- أعلم ذلك . ولكن بعد أن علمت أنك أمسكت بـ (جاسر) . كان لابد من تغير الخطط ..

ثم يقترب من وجه (إبليس) البشع متابعًا بلهجة بدت كأنها تهديد ..

- خاصة أن الفترة القادمة لن يكون هناك ربًا واحدًا للكون .. أليس كذلك ؟

(9)

- من الآن ، أنت الوحيد القادر على مواجهتهم بقدراتك الجسدية ، قادر على مراوغتهم بقدراتك العقلية ، مختفى عن راداراتهم ، لا يستطيعون لبسك أو مسك ، أنت الوحيد الذى تستطيع مقاومتهم .. أنت ومن يحمل دمك .. ولكن .. هناك شروط ..

***

لوسيفر..

كان من أقوى الملائكة ، ذو مقربة خاصة من الله ..

له بصمة فى كل حرب ، كان يعتمد عليه (رجُل الله) عندما تتأزم الأمور ..

عندما أرادوا إبادة (الجان) من على الأرض .. كان (لوسيفر) أول المرسلين ..

استطاع هو وجيشه إبادة عشيرة الغيلان ، وهى أقوى عشائر الجن وأشرسه ..

ولكنه كان كثير الثقة بالنفس ، حتى الغرور..

لذلك تحدى إرادة الله ، وترك طفل من أطفال الجان ، وهو (الحارث) أو (إبليس) كما أُطلق عليه بعد ذلك ، أخذه معه إلى مدينة الملائكة ليتربى معهم ويعيش عيشتهم .. وتولى (لوسيفر) بنفسه تربيته ..

ولكن كرهه جميع الملائكة ، بعد عصيانه لأمر الله ، وعدم السجود إلى (أدم) ..

كرهه الجميع ، إلا (لوسيفر) ..

أعجب بشجاعته ، بكبريائه ..

تلك الشجاعة التى لم يمتلكها هو ، فقد كان يكره السجود هو الآخر ، ولكنه لم يجرؤ على مخالفة الأمر مثلما فعل (إبليس) ..

بعد طرد هذا الأخير من الجنة ، أو مدينة الملائكة ، أدرك (لوسيفر) أنه لن يستطيع البقاء هكذا .. لقد تعلم من ذلك (الشيطان) كيف يكون شجاعًا ، محافظًا على كبريائه ..

لن يبقى مأمورًا مطيعًا لأحد ، لن يطيع قائده (رجُل الله) ، أو حتى إله الكون ..

ولذلك .. بدأ خطته ..

فصل جيشه عن البقية ، ليكوّن كتيبة خاصة به وأسماها (الكروبيم) ..

انتقى جنودهم من نوع واحد من الملائكة ، وهو النوع الأشرس .. كان جندى الكروبيم ، بشرى التكوين ، ولكنه طويل القامة .. له أربع أجنحة .. يطير بجناحين ، أما الجناحين الآخرين ، يغطى بهما جسده .. حيث صدره وبطنه ينمو فيهما رؤوس ضحاياهم ، التى تصرخ من العذاب ..

فبمجرد أن يزيح جناحه من على جسده ترى الوجوه المتألمة ، مع صوت صراخهم ..

كان جندى الكروبيم لا يعرف الرحمة ، وازداد شراسة بعد أن تدرب على يد (لوسيفر) الذى لا يرحم هو الآخر ..

أعد جيشه إعدادًا جيدًا .. واستعد .. حتى جاء وقت اختباره ..

عندما حوصر (مهلاييل) وجيشه .. استعان (رجُل الله) بـ (لوسيفر) .. فكان لابد من قهر الجن ، و (إبليس) بالأخص .. ولا يقدر على قهر الغيلان سوى (لوسيفر) ..

وبالفعل كان الاختبار صعبًا ، ولكنه مثمر ، حيث أدرك (لوسيفر) مدى قوته وقوة جيشه ، الذى أصبح الآن ثلث جيش الملائكة على الأقل ..

استطاع التغلب على جيش (إبليس) ، ولكنه عصى (رجُل الله) ومن قبله (الله) مرة أخرى ..

حيث كان عليه ألا يترك (إبليس) يذهب هكذا دون معركة .. ولكن (لوسيفر) فعل ، تركه بكل بساطة ..

كيف يقاتله وهو من أشد المعجبين بشجاعته وجرأته ، وأيضًا غطرسته ؟!!!

لم يمر عصيانه هذه المرة مرور الكرام ، وإنما تعرض للعقاب ، أو بالأدق حاول (رجُل الله) تنفيذ عقاب ..

لقد أمر (رجُل الله) بتقليص رتبة (لوسيفر) إلى فرد من الجيش بدلًا من قائد جيش ، وضم الـ (الكروبيميين) إلى باق الجيش ..

ولكن هيهات ، لقد كان (لوسيفر) يخطط طوال الوقت إلى تلك اللحظة ..

درّب الـ (الكروبيميين) على الطاعة .. طاعته هو ..

ولذلك ، فى البداية ، أطاع (رجُل الله) ..

ولكن عندما حان الوقت ، بإشارة منه ، كان جيشه بين يديه وتحت إمرته مرة أخرى ..

كانت حربًا مختلفة ، حرب كونية .. معركة أقوى من معركتهم مع الجن بمراحل كثيرة ..

فالملائكة فى تلك الحرب كانوا يحاربون جيشهم ، بل أقوى جيوشهم على الإطلاق ..

اشتعلت السماء فى ذلك الوقت ..

اختفت الشمس خلف أجنحة الملائكة المحلقة ..

لم تقتصر الحرب على كوكب الأرض ، وإنما انتقلت إلى المجرة ، بل إلى عدة مجرات ..

قوتها .. دمرت بعض الكواكب ، أحرقت البعض الآخر ، محت البقية الباقية لتتحول إلى نجوم صغيرة ..

تدخل (رجُل الله) بنفسه ، فلا يوجد بقوة (لوسيفر) سواه ..

ولكن المعركة لم تكن بالقوة فقط .. وإلا كان (لوسيفر) هو المنتصر بجيشه الجرار ..

وإنما كانت معركة عقول أيضًا ..

كان (لوسيفر) بعقله الجبار وحده ، فى مواجهة عقول (رجُل الله) و (ميخائيل) و (ملك الموت) وغيرهم من القادة ، ولكن هؤلاء كانوا أبرزهم ..

استطاع (رجُل الله) أن يستغل ثغرة تركها (لوسيفر) ..

اعتمد (لوسيفر) فى جيشه على (الكروبيميين) ، وبما أنهم من الملائكة وانقلبوا ضدهم ، فهم مجرد خونة ..

ومن يخون مرة ، يخون أكثر من مرة ..

استطاع (رجُل الله) أن يجند أحد جنود (لوسيفر) فى صالحه .. وعده بألا يُعاقب ، وأن يكون قائدًا لجيش من الملائكة .. ولكن لم يعده بحمايته .. حيث أن بعد ذلك كان انتقام (لوسيفر) منه شنيعًا ..

خسر (لوسيفر) الحرب .. أدرك ذلك سريعًا ، لم يكابر ، وإنما أخذ الباقى من جيشه وهرب ، أخذ يتنقل لأعوام كثيرة بين الكواكب .. حتى استقر فى الأرض ..

ولكنه كان مُطاردًا دائمًا ..

سخَّر (رجُل الله) (ملك الموت) وجيشه لمطاردة (لوسيفر) ..

ولكن ذلك الأخير لم يكن بالخصم السهل ، استطاع أن يختفى عن الأنظار ..

ولكنه فى نفس الوقت لم ينسى هدفه .. أن يصبح مَلِك السماء .. أن يصبح رب الكون ..

ولذلك كان لابد أن يستعين بأحد آخر .. ليس من الملائكة أو الإنس الذين أصبحت أعدادهم كبيرة ..

وإنما كان هذا الآخر من الجن .. أستعان بـ (إبليس) لمساندته ..

حيث أن (إبليس) هو الآخر له نفس المطامع .. وبالتالى لا يوجد أفضل منه خير عون ..

لا مانع لدى (لوسيفر) فى مشاركة السُلطة ، وخاصة أن (إبليس) يريد أن يكون رب الأرض وهذا لن يضيره فى شىء ، وفى جميع الأحوال هو الأقوى ..

لا خيار أمام (إبليس) ، سوف يضطر للمشاركة ، فليس لديه القوة حاليًا للسيطرة ..

ساعد (لوسيفر) (إبليس) فى السيطرة على عالم الجن ، ولولا (لوسيفر) ما استطاع (إبليس) القضاء على ملوك الجن السبعة ..

وأصبح (إبليس) ملك ملوك الجان ..

وتوارى (لوسيفر) فى مملكة (إبليس) تارة ، وتارة فى كواكب أخرى بعيدة عن أنظار الملائكه ، وذلك استعدادًا للحظة الحاسمة ..

لحظة الحرب الأخيرة ..

***

القرين ..

مصطلح متداول فى كتب الجن والتحضير

فلكل إنسان قرين من الجان .. وهو نسخة منه ، نسخة خالدة لا تموت ..

ولأنه من الجن ، فله قدرات الجن ، مثله مثل بنى جنسه ، ولكنه لا يستطيع التجسد فى أشكال أخرى مثلهم ..

فالجن بعضهم يتجسد على شكل حيوانات ، والبعض الآخر على شكل إنسان .. بينما القرين لا يستطيع ذلك ..

وإنما يستطيع القرين لبس الكائنات الحية ..

ولذلك يُستخدم فى تحضير الأرواح .. فمن يحضر روح الميت ، هو فى الحقيقة يُحضر قرين المتوفى وليس روحه ..

فلا أحد يستطيع إحضار الروح ، ولكنه يستطيع استدعاء القرين ، الذى يكون على دراية بكل فعل قام به صاحبه ..

يتجسد القرين فى هيئة صاحبه .. فله نفس الشكل .. ولكن فى معظم الأحيان قدراته العقليه أقل إن لم تكن معدومة .. وعلى النقيض ، القدرات الجسدية عالية جدًا ..

جاسر الآن أصبح داخل قرينه ..!!

كانت الفكرة تُلِحُّ على (رجُل الله) ..

هو يعلم جيدًا أن معشر الجن يريدون أسر روح (جاسر) وعدم صعودها إلى السماء .. لأنها لو صعدت ، فمتاح أن تعود لجسد (جاسر) مرة أخرى .. فيُبْعَث من الموت وكأن شيئًا لم يحدث ..

وبالفعل ، تكرر ذلك كثيرًا .. وكثيرًا جدًا ..

كثيرًا لدرجة أنه أصبح هناك أخطاء .. !!

عائلة (جاسر) أصبحت مدركة .. أو بالأدق مشوشه ..

كيف لـ (جاسر) أن يعود من الموت ، ثم يموت ثم يعود مرة أخرى ؟!!

لكن (رجُل الله) يلعب بالزمن ، يعيد (جاسر) من نقطة ما حددها مسبقًا ، فى النقطة التى تسمح له بالوقت المناسب لإدراك قدرته والاستعداد لحربه القادمة ..

ولكن ، التلاعب بالزمن ليس بالأمر الهين .. فهناك تراكمات وترسبات فى الذاكرة ، فالعقل البشرى يحتفظ بومضات مما يمر به حتى لو عاد بالزمن سوف تكون هناك بعض الذكريات متوارية ، أو على الأقل تساؤلات .. سوف تظهر عند حدوث أول خلل ..

وحدث هذا الخلل ..

عائلة (جاسر) أصبحت لديها تساؤلات عما يحدث ..

وبالتالى كان الحل الوحيد هو محو ذكرى موت (جاسر) نهائيًا من عقول معارفه ..

ولكن فى المقابل لا يمكن أبدًا تقبل موته ..!!

يجب أن يبعث مرة أخرى ..

وهكذا فعل (رجُل الله) . ولكن فى قرينه ..

هو يعلم أنها مغامرة ..

مغامرة لابد منها ..

بالفعل القرين لا يموت . ولا يمكن قتله . ولكن من الممكن تعذيبه . استجوابه .. من الممكن أسره ..

وكان قرين (جاسر) بعيد المنال عن الجن . وبظهوره أصبح متاحًا بالنسبة لمطارديه ..

ولكن (رجُل الله) يعتمد الآن على عقلية (جاسر) ..

يعتمد على معرفة مدى قدراته ..

قدراته القديمة ..

وقدراته المكتسبة من قرينه ..

والأهم من ذلك ..

إدراك الهدف الذى بُعث من أجله ..

(10)

الشرط الأول : كُن عدوًا لا حبيب .. بعيدًا لا رفيق .. لا يجمع بينكم مصالح أو أطماع ..

***

توارت فى غرفتها .. أغلقت بابها وهاتفها .. تقوقعت على فراشها ..

كانت ترتعش من الخوف وهول ما رأت ..

لم تمر (أمال) بليلة مرعبة مثل تلك من قبل ..

قرأت الكثير عن الجان .. حاولت إحضار البعض .. سمعت أصوات .. أصبحت (ذات الشعر الأحمر) خليلتها ..

ولكن لم يحدث تعاون بينهم من قبل . لم يحدث أن تدخل عالمهم وتتعامل معهم بهذا القرب ..

هى لم تكن تريد التعامل معهم . كانت فقط تريد زوجها ..

ولكنها مجبرة على تنفيذ ما يريدونه ولا تستطيع المناقشة ..

فماذا تفعل هى أمام تلك الكائنات ؟!!

حارس المقابر !!

لم ترى طوال حياتها حيوان يُذبح ، ولكنها فى ليلة واحدة تعاملت مع كائنات من عالم أخر ، ورأت شخص يُقتل على يديها ..

لقد مات حارس المقبرة فى لحظة أمام عينيها ..

كان هذا أكثر مما تستطيع تحمله ..

أرادت الهروب ، الاختفاء ، لا تريد (جاسر) الآن ، لا تريد تفسيرات ، فقط تريد أن تعيش فى سلام ..

- أهكذا تتوارى منا ؟!!

تنتفض (أمال) حتى كادت أن تقع من على الفراش ، تجحظ عينيها فى رعب وهى تنظر إلى (ذات الشعر الأحمر) ، التى كانت تقف أمامها مبتسمة ابتسامة ساخرة ..

- ماذا تريدين منى ؟!! أنا أريد أن أبقى وحيدة ..

تقترب (ذات الشعر الأحمر) منها قليلًا وهى تقول بنفس الابتسامة على شفتيها ..

- أنا ؟ !! لا أريد شيئًا ، أنت من يريد ..

تقفز (أمال) من على الفراش ، فى محاولة للابتعاد عنها بقدر الإمكان ، قائلة وهى تبكى خوفًا ..

- لا أريد شيئًا ، اتركينى وشأنى ..

لم تركع على الأرض وهى تنتحب ..

- أرجوكِ اتركينى لحالى ، أنا لا أريد منك شيئًا الآن ..

تتقدم منها (ذات الشعر الأحمر) ، وتوقفها برفق ، وهى تهمس بأذنها كفحيح الأفعى ..

- بل تريدين ، وتحتاجين إلينا أكثر من أى شخص ، ولذلك كنتِ تحاربين حتى نساعدك ..

كانت (أمال) تستمع إلها والعرق يتصبب من كل مسامها ، جاحظة العينين حتى كادت أن تخرج من محجريهما ، بينما تتابع (ذات الشعر الأحمر) بنفس فحيحها ..

- جاسر .. زوجك .. عندنا ..

وهوى قلب (أمال) فى قدميها ..

أذكرتُ أنها أصبحت لا تريد زوجها (جاسر) ؟!!

حسنًا .. كنت أكذب ..

***

غرفة مكتب صغيرة ، غير مرتبة ، يوجد بها مكتبة خشبية بالية مليئة بالكتب القديمة متراصة بغير ترتيب .. بينما يجلس (رأفت) أمام مكتبه الصغير ، يطالع كتابًا على ضوء مصباح خافت ..

الكتاب حجمه أكبر من المعتاد ، أوراقه صفراء متآكله ..

كان (رأفت) يتصفحه باهتمام واضح ، حتى أنه لم يلاحظ ذلك الشخص الذى اقترب منه ..

- لماذا تطالع هذا الكتاب باهتمام ؟

ينتفض (رأفت) وهو يغلق الكتاب بعنف ..

- شمهورس ؟!!

تابع (شمهورس) وهو ينظر إلى الكتاب ، الذى اتضح من غلافه أن لا يوجد له عنوان !

- ألم نتفق على أن يختفى هذا الكتاب ؟

يتوتر (رأفت) قليلًا..

- لم ولن أعطه لأحد ، فقط كنت أتصفحه ..

يتقدم (شمهورس) أكثر ، حيث يظهر وجهه فى دائرة الضوء ..

عينان حمراوان ، قرنين قصيرين ، وجه مُشعر ، أسنان بارزه ، وذيل طويل ..

- لقد تركنا لك الكتاب على أن تخفيه لا تقرأه ..

يقف (رأفت) مواجهًا (شمهورس) متحليًا ببعض الشجاعة ..

- لقد تعاونت معكم ، وتخليت عن عائلتى ، وكان شرطى الوحيد هو الاحتفاظ بكتاب جدى ..

قالها وهو يشير إلى الكتاب ، ثم يتجه إليه ويوثقه برباط سميك ..

يبتسم (شمهورس) بسخرية ، ثم يقول بحزم ..

- لقد تعاونت معنا لكى تصبح سيد البشر ..

ثم يقترب منه أكثر متابعًا بلهجة تهديدية واضحة ..

- وحفاظًا على زوجتك ..

مكبل اليدين والقدمين ، بسلاسل طويلة مثبت أطرافها بالحائط ، وهناك نقوش عجيبة مرسومة على السلسلة والأرض بشكل دائرى يجلس (جاسر) فى المنتصف ..

تفحص المكان أكثر من مرة .. كهف ضيق ، رائحته كريهه نسبيًا .. وهناك حارسان يحرسان مدخل الكهف ..

حاول أن يستجمع أفكاره .. أن يفهم ما يدور ..

كل ما توصل إليه هو أنه أسير فى عالم الجان ..

وأنه كان أمام كبيرهم منذ قليل ..

وقال له شيئًا عجيبًا لم يدرك معناه حتى الآن ..

هو أيضًا أصبح من الجن !!!

يتطلع إلى نفسه ، ليجد جسده كما هو ، أصبح مفتول العضلات قليلًا.. يشعر ببعض القوة .. ولكن شكله كما هو لم يتغير .. هو حقًا لم يرى وجهه . ولكن يده وجسده غير مشعرين مثل تلك الكائنات ..

لماذا يحدث هذا معه ؟!! لا يعلم !!

يسمع صوت قدوم أحدهم من الخارج ، فيقف منتظرًا على أمل أن يكون فى القادم خلاصه ..

ولكن تتسع عيناه دهشة !!

لقد كانت زوجته (أمال) أمامه ، مرتدية ملابس عارية ، متزينة ، لتجعل من نفسها ملكة جمال .. رغم ظهور بعض التجاعيد لكبر سنها ، على عكسه هو..

عيناها أيضًا لم تخلو من الدهشة ، لم تصدق فى البداية عندما عرضت عليها (إيليزابات) - أو ذات الشعر الأحمر كما تعرفها - أن ترى زوجها ..

طلبت منها أن تتزين فى أجمل صورها .. أن تلبس تلك الملابس المثيرة .. فكيف تقابل زوجها بعد تلك السنوات بمظهر لا يليق ؟!!

جاسر كان منبهرًا ، مشتاقًا إليها ، حتى أنه لم يلاحظ (إيليزابات) التى دخلت معها فى نفس اللحظة ، مع العلم أنها هى الأخرى تتشكل على هيئة إمرأة رائعة الجمال بشعرها الأحمر النارى هذا ..

ولكنه لم يرها إطلاقًا .. لم يشعر بالحارس عندما فك قيده .. أوعندما خرج الجميع سوى زوجته .. لم يلاحظ أى فرق ، فهو لم يزهُم من الأساس ..

احتضنها بشوق غير مصدق ..

- اشتقت إليكِ ..

خرجت الكلمة منه صادقة أكثر من أى وقت مضى ..

- كنت أراكِ كل يوم فى خيالى ، أتحدث معكِ وأسمع صوتك ..

كان يعلم أن ما يقوله قد حدث بالفعل ، ولكنه لا يتذكر أين وكيف ، فهو فاقد للذاكرة طوال فترة اختفائه ..

لم تجيبه ، لم تعاتبه ، لم تسأله عن سبب غيابه أو عما حدث معه ..

فقط بكت على صدره ، عانقته ، قبلته ..

كانا يفتقدان بعضهما حقًا ..

جامعها .. لم يهتم بالمكان أو إذا كان أحدًا يراهما ، جامعها دون أن يكترث لشىء ..

كان يشعر بطاقة قوية عجيبة ، فقد كانت تلك المضاجعة هى الأفضل والأمتع على الإطلاق ..

بالنسبة إليه وإليها ..

انطلق عقله فى ملكوته الخاص . تذكر أول لقاء بها عندما دخل إلى المكتبة ، ووجدها جالسة فى أحد الأركان ..

كان يعتقد أنها قارئة هنا . ولكنه فرح جدًا عندما وجدها أحد العاملين بالمكتبة، مما يتيح له رؤيتها كل يوم .. ثم إن الحديث معها فى تلك الحالة أسهل بكثير..

تذكر يوم أن هاتفها لكى يتفق معها على ما سوف يُقال عندما يتقدم لخطبتها ..

تذكر ليلة زفافهما ..

كان يومًا رائعًا ، وخاصة أن الإثنين كانا مشتاقين لبعضهما ..

الآن مشتاقان أكثر ، وبسبب الطاقة العجيبة التى يمتلكها الآن فالأمور كانت أفضل ..

كان مخدرًا .. لم يشعر بشىء إلا وهما مستلقيان على الأرض عاريان منهكان ..

يتطلع إليها ولكنها كانت غارقة فى النوم ..

يلاحظ ذلك الشىء الواقف أمامهما .. إنه واحدٌ من تلك المخلوقات ..

ينظر إلى زوجته العارية باحثًا عن شىء ليدارى عورتها ، حتى وجد ملابسها على الأرض فوضعها على جسدها مسرعًا ..

لم يهتم كثيرًا بأن يدارى عورته . فهو عارى الجسد منذ أن جاء هنا ..

لم يعاتب ذلك الشىء على دخوله هنا هكذا ، فقط تطلع إليه متسائلًا حذرًا ..

ولكن هذا الشىء كان ينظر حوله فى توتر ، وكأنه يخشى من مراقبة أحدهم له ..

- هيا بنا بسرعة ، لا يوجد وقت ..

يتوجس (جاسر) قليلًا..

- هيا بنا إلى أين ؟

- سوف أخرجك من هنا ..

يتطلع (جاسر) إلى زوجته ، فيتابع الجن وكأنه قرأ ما يدور بخلده ..

- لن استطيع تهريبكم أنتما الإثنين . وهما لا يحتاجون إليها ، سوف يتركونها ، لا تقلق .. إنهم يحتاجون إليك أنت !!

- لماذا ؟ ماذا يريدون منى ؟!!

- سوف تعلم كل شىء فيما بعد ، المهم الآن ، يجب أن تخرج من هنا فى الحال ، وتعود إلى عالم الإنس ..

يتطلع (جاسر) إليه فى شك ..

- من أنت ؟ ولماذا تساعدنى ؟!!

يعتدل (الجن) فى شموخ ..

- لست أنا من يساعدك .. بل نحن .. نحن رجال أبونا (سوميا) ..

(11)

بعد قتله لـ (سوميا) أصبح منبوذًا من معظم قبائل الجن . لهذا كان يتوارى دائمًا .

خاصة بعد ظهور الملك ابا محرز الأحمر . الذى أعاد إنشاء مملكة الجن .. ولكنها لم تكن مثل ذى قبل ..

فهذه المرة كانت مملكه محكمة ، قوية . لها قوانينها ، تتفرع إلى قبائل كثيرة . وكل قبيلة لها حاكم وقانونها الخاص وايضًا هناك ثواب وعقاب ..

هناك محاكم .. قضاة . لكل جريمة عقاب من تقليل رتبة الجانى مرورًا إلى الحبس وسط الطلاسم لمدة أو مدى الحياة وصولًا إلى عقوبة الحرق ..

وفى المقابل هناك ترقيات . مكافئات لمن يقوم بواجبه على أكمل وجه.

أصبحت مملكة متكاملة راقية إلى أقصى درجة .. متماسكة إلى أبعد الحدود ..

ومع الوقت . أصبح الملك الحاكم سبعة ملوك

أبا محرز الأحمر (وهو كبيرهم) – الملك مرة – الملك شمهورش – الملك ميمون أبانوخ – الملك برقان أبا العجائب – الملك الأبيض – الملك عبد الله المذهب ..

الملوك السبعة هم القوة الجبارة لمملكة الجن .. أخذ كل منهم يوم من أيام الأسبوع ليكون حاكمه أو خادمه كما يقال من بنى الإنس .. وهم الوحيدون الذين يستطيعون الظهور فى عالم الإنس ، أو من يسمحون لهم بذلك ..

فالظهور إلى عالم الإنس له قوانين صارمة ، ومن يخالفها ينال أشد عقاب ، وهو الحرق ..

لم يجلس (إبليس) مشاهدًا فى الخفاء ، وإنما كان يكون مملكته الخاصة هو الآخر ، يُكَوِّن عائلة من الشياطين ..

تزوج من (إيليزابات) ، وهى واحدة مما تبقى من قبيلة الشياطين ..

أنجب منها العديد من الأبناء والبنات .. أكبرهم وأقواهم (دهش) وهو الابن الذى يعتمد عليه (إبليس) كثيرًا فى الحروب والأمور العالقة ، وأيضًا فى حكم مملكته الصغيرة ..

ظل (إبليس) يُعَظِّم قوته فى الخفاء ، ويجذب إليه المتمردين من مملكة الجن ..

حتى جاء الوقت الذى قرر فيه الاستيلاء على تلك المملكة ..

أو على الأقل تدميرها ..

***

جلسة تحضير ..

ثلاث شباب فى العشرينيات من عمرهم . يجلسون فى منتصف الليل يوم السبت ..

قال (عبد الرحمن) – وهو أكبرهم سنًا وأصغرهم جسدًا - ..

- هل أنتم متأكدون من تلك التعويذة ؟!! لقد جربت إحضار الملك ميمون أبانوخ من قبل . ولكن لم يحدث شيء ..

كان (يوسف) مشغول فى تحضير بعض البخور عندما أجابه قائلًا:

- لقد وجدتها فى كتاب قديم . أعتقد أنه كتاب أصلى . وكان فى مكتبة جدى .. وعلى كل حال سوف نرى الآن . فأنا بالفعل قد انتهيت من الطقوس ..

كان الإثنان متحمسان . ومتوتران فى نفس الوقت .. بينما صديقهم الثالث (شريف) - وهو صاحب الشقة الجالسين بها – يجلس هادئًا مترقبًا . وكأنه يعلم النتيجة مسبقًا ..

جلس الثلاثة بجوار بعضهم .. وردد (يوسف):

- يا ابانوخ بحق الملك الموكل بك والذى تسرع إلى خدمته كِسفيانيل وبحق ازلي ازلي ازرارِ ازرارِ نقهش نقهش هلكمل هلكملِ كشلطلش كشلطلش كليسةِ كليسة لَطْهَلَطه نفعاتم نفعاتمِ
بِشغليص بِشغليص علشاقش علشاقش مهراقش مهراقش اقش اقش اقشامقش اقشامقش شقمونهش شقمونهش ركشا..ركشا
ركشليخ ركشليخ كَلَّخ كَلَّخ بركشليخ بركشليخ غلمش غلمش لهش لهش نموه نموه اجب يا ميمون ابانوخ وتوكل الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة

أنهى (يوسف) التعويذة . وظل صامتًا مترقبًا . و (عبد الرحمن) تسارعت أنفاسه فى توتر .. بينما (شريف) ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ..

مرت لحظات ظَنَّ فيها الاثنان أنه لن يحدث شيء مثلها مثل غيرها من التعاويذ ، ولكن تصاعد أبخرة البخور بكثافة زائدة عن الطبيعى ، جعلهم ينتفضان إلى الخلف قليلًا..

على عكس (شريف) الذى تتسع ابتسامته أكثر وأكثر..

يظهر من العدم .. من وسط الأبخرة .. الملك (ميمون أبانوخ) بتاجه الأسود ، واقفًا بشموخ ..

تسمر الإثنان مكانهما دون أن ينطقا بحرف ، فى حين (شريف) لم يرمش له جفن ..

تطلع إليهم (ميمون) قبل أن يقول بصوته الجهورى ..

- لقد أتيت حسب طلبكم ، فأتونى بما لديكم أو تحفروا قبوركم ..

يقف (شريف) من مكانه بثقة وابتسامته تتسع وهو يقترب من (ميمون) ..

- أهلًا بك أيها الملك ..

تطلع إليه (عبد الرحمن) و (يوسف) بدهشة ..

بينما ينزعج (ميمون) عند مشاهدته (لشريف) قائلًا:

- دنهش ؟!!!

تغير ملامح (شريف) إلى شيء بشع المنظر ذو بشرة حمراء وحوافر طويلة وحادة ..

- م .. م .. من أنت ؟ أين شريف ؟!!

قالها (يوسف) ، ولكنه لم ينتظر رد ، فقد انطلق هو و (عبد الرحمن) راكضين اتجاه الباب ، فى محاولة يائسة للهروب من ذلك الجحيم .. ولكن هيهات .. فى لحظة ، كان أمامهم (دنهش) وقبل أن يستوعبا ذلك ، كانت رأسهما جوار جسديهما ، والدماء تغرق المكان ..

- ماذا تريد ؟!!

قالها (ميمون) بحذر .. فيبتسم (دنهش) لتظهر أنيابه الحادة ..

- أريدك ..

انطلق (ميمون) إلى الامام بسرعة لمهاجمة (دنهش) ولكنه يصطدم بحاجز خفى ويقع أرضًا فى مكانه ..

وقف مسرعًا ، وبدا عليه الغضب ، وهو ينظر إلى (دنهش) ..

- أتعتقد أننى أحضرتك إلى هنا دون أن آخذ حذرى !! أنا أعلم جيدًا أننى لست بنصف قوتك ..

قالها (دنهش) قبل أن يسحب السجادة التى يقف عليها (ميمون) لتظهر أرضية الغرفة ..

كانت هناك رموزًا عجيبة مرسومة على شكل دائرة حول (ميمون أبانوخ) . ليتأكد هذا الأخير انه أسير (دنهش) فى تلك الغرفة الصغيرة..

- لا تقلق . أنا لا أريد قتلك . أو مساسك بأى سوء ..

قالها (دنهش) وهو يقترب أكثر من (ميمون) متابعًا ..

- نحن نريد تعاونك . وسوف تكون أنت الفائز فى الأول والأخير..

***

أصبح (ميمون أبانوخ) أسيرا لـ (إبليس) .. لقد اختاره من بين سبعة ملوك لكى يتعاون معه ..

وكان اختياره صائبًا . فمن طبع (ميمون) الغرور وحب السيطرة . وكان يشعر بأن الملك (الأحمر) هو المسيطر على عالم الجن . وأن بقية الملوك الستة مجرد إجراء شكلى ..

(ميمون أبانوخ) كان قويًا فى مركزه هذا . ولكنه يريد أن يكون الأقوى لا يريد أن يكون هناك رقيبًا عليه . والأهم من ذلك لا يريد أن يكون ملكًا فى عالمه وخادمًا فى يوم من أيام الأسبوع لعالم الإنس !!

هو حقًا عندما يظهر فى عالم الإنس عن طريق تحضيرة فى يوم السبت يكون هو المسيطر والمتحكم . ولكنه فى نفس الوقت مجبر على تلبية طلب الحضور – سواء حضر بنفسه أو أمر خادمًا له بالحضور – إذا تم بطريقة صحيحة وكان المقابل يستحق ذلك الطلب ..

كان (إبليس) يعلم ذلك . فله جواسيسه بداخل مملكة الجان .. وكان يراقب تصرفات كل الملوك . حتى استقر على أن (ميمون) هو الأنسب لتنفيذ خطته ..

فأرسل .. ابنه الأكبر (دنهش) أفضل جنوده لأسر (ميمون) ..

وبالفعل نجح فى ذلك ..

وبقى فقط إقناعه .. وذلك لم يكن عسيرًا على (إبليس) .. فالوسوسة هى الأسهل بالنسبة له ..

وعده بمركز يليق به .. وعده بألا يصبح خادمًا . بل ملكًا فقط .. وعده بالكثير ..

انصياع (ميمون) إلى وعوده .. وأصبح جاسوسًا لـ (إبليس) داخل مملكة الجن ..

(إبليس) يعلم جيدًا ان دخول مملكة الجن تلك هو أمر من المستحيلات .. فهو وجيشه الذى أضاع سنينه فى تجهيزه ليس بقوة تلك المملكة أو نظام حراستها ..

ولكن عندما يكون ملكًا من ملوكها الكبار مثل (ميمون أبانوخ) أحد الموالين لـ (إبليس) . يصبح الأمر مختلفًا كليًا ..

أو هكذا تصور (إبليس) ..

بالفعل استطاع (ميمون) خلق ثغرة فى دفاعات مملكة الجن لكى تُسَهِّل مهمة (إبليس) وجيشه فى دخول المملكة ..

ولكن الملك (محرز الأحمر) اكتشف خيانة (ميمون) بسرعة ، وتدارك الموقف ..

وكانت حربًا شرسة ، من أقوى الحروب التى مر بها (إبليس) ، قضت على نصف جيشه تقريبًا .. ومن بينهم كبير أبناءه (دنهش) ..

حاصر الملوك الستة وجيوشهم ما تبقى من جيش (إبليس) ..

لم يكن هناك مخرجًا ، بالنسبة إلى (إبليس) كانت تلك هى النهاية ..

ولكن فجأة ، انقلب الحال .. وبدأت الكفة تميل لصالح (إبليس) ..

فبدون سابق إنذار .. حدثت مجموعة من الفرقعات الكبيرة ..

وظهر (لوسيفر) من العدم ..

لم يظهر وحيدًا ، وإنما ظهر بجيشه كاملًا ، جيش من الملائكة (الكروبيم) ..

كانت مفاجأة بالنسبة للملوك الستة وجيوشهم .. وقبل أن يتداركوا الموقف كان جنودهم يتساقطون واحدًا تلو الآخر ..

كان (لوسيفر) يراقب (إبليس) منذ فترة طويلة .. فهو يعلم أطماع هذا الأخير .. ويعلم قوته فهو الذى تولى تربيته وتعليمه ..

وكان ينتظر الإشارة حتى ينطلق .. وكان هجوم (إبليس) على مملكة الجن ، وصنع ثغرة فى دفاعاتهم ، هى الإشارة التى ينتظرها ..

فهو يعلم أن فرصة جيش (إبليس) الصغير فى الفوز ضئيلة جدًا ..

لذلك ، أراد (لوسيفر) أن يقدم هدية إلى ابنه الروحى ، ليست هدية دون مقابل ، وإنما لكسب تعاونه لتحقيق أغراضه هو ..

(إبليس) فوجئ مثله مثل الآخرين ، ولكنه تدارك الموقف أسرع منهم وصاح فيما تبقى من جيشه لينقض مرة أخرى ..

وانقلب الوضع رأسًا على عقب ..

وقضى (إبليس) على الملوك الستة ، وكل من أخلص لهم .. ولكن من أعلن الولاء له تركه ، فهو يريد أن يبنى مملكته الخاصة ، مملكة الجان .. والقضاء على عدوه اللدود .. الإنس ..

وكان الإتفاق ..

التعاون بين الملائكة والشياطين ..

(لوسيفر) وملائكته .. (إبليس) وشياطينه ..

اتفق الاثنان على مساعدة بعضهم ليسيطر (إبليس) على مملكة الأرض .. و (لوسيفر) على مملكة السماء ..

ويكونا الإثنان ربًا الكون الجديد ..

(12)

الشرط الثانى : لا اتفاقات أو مفاوضات . لا يوجد هدنه ..

***

اختفى (جاسر) فجأة من حياة أخيه (رأفت) .. كما اختفى من حياة الآخرين ..

(رأفت) يعلم أن (جاسر) قد توفى ، ولكنه لا يتذكر شيئًا حول ذلك .. ولم يحاول أن يتحرى عن الأمر ، حيث أرجع ذلك إلى عامل السن .. بالرغم من أنه ليس كبيرا للغاية .. فالأربعينات ليس بالعمر الكبير..

فضل الاهتمام بـ (ريم) ابنة أخيه ، بدلًا من البحث فى أمر قد انتهى ..

وبالفعل ، ساعد (ريم) فى دراستها ، واهتم بها ، خاصة بعد أن فقدت (أمال) – والدة (ريم) – عقلها ، حيث أنها مصرة ومتيقنة بعدم وفاة زوجها وأخيه (جاسر) ، وتحاول أن تستعين بالجن للوصول إليه ..!!

حاول فى البدء مساعدتها ، ولكنه يأس من ذلك بعد فترة ، ورفض أن يودعها فى مصحة نفسية ..

وعندما وصلت (ريم) للمرحلة الثانوية .. تزوج (رأفت) من (نبيلة) .. إحدى فتيات القرية التى يسكن بها ..

ليست مميزة فى شىء ، ولكنها جميلة ، وهادئة ، والأهم من ذلك أنها تحبه ..

وهو أيضًا يحبها ، بل يعشقها ..

كان دائمًا يراها وهى تطل من نافذة بيتها .. أسرته بتلك العينين الزرقاوين ..

حتى تزوجها أخيرًا ..

ولكن ليس كل ما يتمناه المرأ يأتى كاملاً ..

بعد فترة من زواجهما وعدم وجود أى بوادر للحمل .. ذهب الإثنان إلى أكبر الأطباء ، داخل القرية وخارجها ..

ولكن كانت النتيجة واحدة ..

(نبيلة) عاقر....

حزن (رأفت) ولكن ذلك لم يؤثر فيه أو فى حبه لـ (نبيلة) .. على عكسها هى ، حيث أصبحت (نبيلة) كثيرة الشجار ، كثيرة الشك ،

تفكر دائمًا أن (رأفت) سوف يتزوج عليها ، أو من الممكن أن يمل منها ويتركها ، فعندهم بالقرية ، الخلفة عزوة ، وكل رجل يتمنى ابنًا من صلبه يساعده فى أرضه ..

ألم أذكر أن (رأفت) يملك أرضًا ؟!!

(رأفت) ورث أرضًا من والديه ، تولى هو رعايتها ، فهى عمله الوحيد .. على نقيض (جاسر) الذى باع نصيبه لأخيه وترك كل متعلقات والديه لدى (رأفت) ..

اضطر (رأفت) فى تلك الفترة أن يقلل إهتمامه بـ (ريم) ، فزوجته الآن أولى بالاهتمام .. ثم أن (ريم) أصبحت كبيرة وتستطيع الإهتمام بنفسها وبوالدتها ..

مع مرور الوقت قلَّ السؤال حتى انعدم تمامًا ، لم يعد لـ (رأفت) أى صلة أو اتصال بأسرة أخيه (جاسر) ..

وفى أحد الأيام ، قرر (رأفت) أن يعبث بمتعلقات والده ..

ملابس قديمة ولكنها مهندمة جيدًا .. أداوت مكتبية .. كتب كثيرة ..

مهلًا .. ذلك الكتاب هناك .. إنه غريب المنظر ..

يحمله بيديه ، يزيل الغبار من عليه .. عجبًا ، إنه بلا عنوان .. !!

يقلب فى صفحاته ليجدها صفراء بالية ..

وفى أول صفحة يجد اسم (الأسيوطى) بالخط العريض ..

إذًا فمن كتب هذا الكتاب هو جده الأكبر !!!

أثار الموضوع فضوله .. فجلس على مقعده أمام ذلك المكتب الصغير . وأضاء المصباح ليبدأ القراءة فى ذلك الكتاب ..

ولكنه عندما فتح أول صفحاته . لاحظ ذلك الظل الذى يتحرك خلفه..

التفت إلى ذلك الظل وقد خفق قلبه خوفًا . ليجد زوجته (نبيلة) هى صاحبة الظل . فيتنهد بارتياح قائلًا:

- نبيلة !! . لقد أفزعتنى ..

لم تجبه وإنما ظلت تتطلع إليه بنظرة خاوية ..

- ماذا بكِ . لماذا أنتِ مستيقظة حتى ذلك الوقت المتأخر ؟!!.. أتشعرين بالتعب ؟

لم تجبه . وإنما ينكمش وجهها وكأنها تشعر بألم حاد ولا تستطيع الصراخ . وبدأت الدموع تسيل من عينيها ..

يجزع (رأفت) ويقفز من مقعده . ممسكًا إياها قائلًا:

- ماذا بكِ ؟! ما هذا الذى يحدث ؟!!

يبدأ أنفها بالنزيف . فيَهُمّ بحملها حتى يذهب بها إلى الطبيب . ولكنه يتوقف عندما يظهر فجأة . من العدم . ذلك الشىء ..

يبتعد عن (نبيلة) خوفًا وهو يتطلع إليه ..

شىء أشبه بالحيوانات . ولكنه ذو قدمين ويدين . وأكثر رعبًا ..

طويل القامة . مفتول العضلات . يحمل وجهًا مشعرًا . وفكًا ضخمًا تبرز منه أنيابًا حادة .. ويخرج من رأسه قرنين قصيرين . ومن مؤخرته يتدلى ذيلٌ طويل ..

كل هذا كان كفيلًا بإرعابه . ولكن الأكثر إرعابًا . عينيه الحمراوين المشقوقتين مثل الثعابين ..

- بسم .. بسم الله الرحمـن الرحيم . ما.. ماذا .. تكون ؟!!

قالها (رأفت) وقد هرب الدم من عروقه ..

ابتسم الشىء . واقترب قليلًا. ليصبح واقفًا جوار (نبيلة) . قبل أن يقول بصوت أجش . يُمرض الآذان :

- أنا شمهورس .. من الجان ..

ينقل (رأفت) بصره بينه وبين زوجته ، التى مازالت تتألم بدون صو[ت] ، والنزيف من أنفها أغرق شفتيها ..

- أنت من فعل بها هذا ؟

- هى من فعلت هذا بنفسها ..

لم يستوعب (رأفت) ما قاله (شمهورس) فاكتفى بنظرة تساؤل تابع (شمهورس) :

- لقد أحضرتنى هى ، ولولاها لما استطعت الظهور أمامك الآن ، أو حتى القدوم إلى هذا المنزل .. لقد أرادت أن تُشفى من عُقمِها ، فأتممنا المقايضة .. تصبح هى مُنتجة ، واحصل أنا على جسدها .. فابنى الصغير يريد جسدًا يسكنه ..

يبتلع (رأفت) لعابه بصعوبة ..

- نبيلة مسكونة الآن ؟!!

يقترب (شمهورس) قليلًامن (رأفت) ..

- وأنت فقط من فى يده خلاصها ..

***

أخيرًا ، وجد (جاسر) نفسه وسط البشر الطبيعيين .. لا أحد يراه ، ولكنه يرى بشر ، وهذا يكفى فى الوقت الحاضر ..

هو يعرف تلك المنطقة .. العتبة .. كما هى لم تتغير ، فقط أصبحت أكثر زحامًا ..

أراد أن يتجول قليلًا ، ولكن لا يوجد وقت لذلك ..

ولذلك ، اتجه على الفور إلى جامعة القاهرة ..

فهو يريد أن يرى ابنته ، يريد أن يتحدث معها ، وفى وقت الظهيرة هذا ، بالتأكيد سوف تكون فى الجامعة ..

أخر مرة رآها ، كانت فى المدرسة ، تحمل حقيبتها على ظهرها ..

لم يعلم أنها فى الجامعة إلا عندما أخبره الجن الذى هرّبَهُ بذلك .. وأيضًا أعطاه صورة لها .. ثم اختفى !!

تركه هكذا يجهل كل شىء عما يفعل !! ، إنه يجهل ما هى طبيعته فى الأساس !!!

وهو يدرك جيدًا أنه لم يصبح بشرًا طبيعيًا ، وإنما هو ينتمى إلى عالم الجن ..

له قدرات يجهلها .. فمثلا لا يعلم كيف يظهر إلى الناس !! هل سوف يظل غير مرأى هكذا ؟!!

عندما يرى ابنته ، كيف يتحدث إليها ، يراها وتراه !! .. كيف حدث أنه تلامس مع زوجته ، وكانت تراه كما لو كان طبيعيا !! هل هى الأخرى ليست طبيعية ؟!! أم لعالم الجن قوانينه الخاصة ؟!!

زوجته !!

لقد تركها وحيدة فى هذا العالم السفلى ، ولكن ذلك الجن من رجال (سوميا) هذا ، طمأنه أنهم لن يمسوها بسوء ..

هل يثق به ؟!! كان مضطرًا أن يثق به ، فلابد له أن يكون حرًا حتى يدرك كيف يتصرف ..

كان كل هذا يدور فى ذهنه عندما رآها ..

ابنته (ريم) ..

أجمل من الصورة التى معه بكثير ، شعر بحبه واشتياقه لها يجتاح قلبه ..

كانت مع أصدقائها ، تمزح وتضحك ..

ظل يراقبها من بعيد ، يتأملها فقط ، وفى عقله سؤال واحد ..

كيف يتحدث معها ؟!! كيف يقول لها أنه هنا ، جوارها ؟!!

أصبحت الآن فى شارع ضيق به القليل من الناس .. يجب أن يحاول الآن فعل أى شىء ..

ذلك العجوز الذى يمر جوارها ..

انطلق (جاسر) مندفعا ليرتطم بالعجوز .. أو بمعنى أدق ، يتوغل إلى أعماقه ..

فكر (جاسر) ، بما أنه الآن أصبح جنيا ، فبإمكانه أن يلبس البشر .. لقد رأى هذا فى بعض الأفلام الغربية ، وقرأه من قبل فى أحد الكتب الرخيصة التى تباع على الأرصفة .. ولا ضرر من التجربة .. ففرصته فى دخول شخص ما واحتلال جسده جيدة جدًا ، وبالتالى يستطيع التواصل مع (ريم) ..

فجأة ..

وجدت (ريم) يد العجوز المار جوارها تمسك يدها بقوة حد الألم .. فتأوهت وهى تنظر إلى العجوز فى دهشة وذعر..

والعجيب أنها وجدته ينظر إليها بكل حنان عكس طريقة مسكه لها ..

- ماذا تريد ؟!!

قالتها دون أن تنتظر إجابة ، وإنما أبعدت يده بقوة ، وأسرعت بعيدة عنه .. بينما (جاسر) يصيح بها بصوت الرجل العجوز :

- انتظرى يا ابنتى ..

ولكنها كانت قد ابتعدت عنه بالفعل ، وقبل أن تهدأ قليلًا ، وجدت ذلك الشاب يقف أمامها قاطعًا عنها الطريق ، قائلًا:

- أريد أن أحدثك قليلًا..

فقدت صوابها فى تلك اللحظة ، ماذا يحدث ؟!! ، دفعته بيدها ، والعجيب أنه قد وقع أرضًا على عكس قوة الدفعة التى كانت بالكاد تحرك صبيًا صغيرًا لا توقعه ..

زادت من سرعتها ، أصابها الرعب .. كل خطوة تجد شخص جوارها يتحدث إليها ، يطلب منها أن تنتظر ، أن تسمعه ، حتى أوقفها ذلك الشاب ذو الجسد الرياضى ممسكًا إياها من كتفيها ..

- توقفى قليلًا. أنا (جاسر) ، أنا والدك ..

شعر (جاسر) بوهن وبضعف شديدين عندما تقمص الرجل العجوز .. لا يعلم جسده هو الضعيف ، أم أن عملية اللبس تلك هى من

تسبب ذلك الضعف .. ولكنه شعر بكل شىء يخص ذلك الجسد ، نبضات قلبة البطيئة نسبيًا ، أمراضه التى تنتشر فى جسده ، عينيه التى يفتحهما بصعوبة ..

لم يستطع اللحاق بإبنته عندما أبعدت يده الممسكة بها وركضت .. شعر بأن قدم ذلك الجسد لن تحتمل الركض خلفها ، وبالتالى لا يوجد سوى حل واحد ، وهو أن يترك هذا الجسد ويذهب لآخر ، فحركته وهو جان أسرع بكثير من أى بشرى .. وبالفعل ترك جسد العجوز وانطلق إلى آخر ، تاركًا جسد العجوز ليسقط أرضًا .. كلما كان الجسد صحيًا كلما كان أقوى ، ولكن فى المجمل هو ضعيف فى جسد الآخرين ..

أو من الممكن أنه لم يدرك كيفية التحكم فى الأجساد بعد ، فهو الآن له قدرات لا يدركها وبالتالى لا يستطيع التحكم بها ..

رأى الفزع فى عينى ابنته ..

- اعذرينى يا ابنتى ، لم أقصد إخافتك ، ولكن كان لابد أن أتواصل معك ..

قالها لـ (ريم) وهما يجلسان فى أحد المقاهي ، ومازال (جاسر) فى جسد مفتول العضلات ذاك ، استطاع مع الوقت أن يتحكم فيه تحكمًا نسبيًا ، ولكنه كافيًا للتجول والحديث ..

كانت (ريم) تنظر إليه بشك ممزوج بالدهشة ، فهى تتحدث إلى والدها فى هيئة شاب مفتول العضلات !!

- هل أنت حقًا والدى ؟!!

يتطلع إليها (جاسر) بحنان وشوق ..

- نعم يا صغيرتى ، أنا والدك ، لقد اشتقت إليكى كثيرًا ..

أى إنسان طبيعى لن يصدق هذا الكلام ، فكيف لشخص أن يتحدث من خلال شخص آخر ؟!! .. ولكن ما مرت به (ريم) فى الفترة السابقة جعلها تفكر أكثر فى الموضوع .. ثم كيف كان يطاردها من خلال أكثر من شخص ؟!!

- لقد بحثت عنك كثيرًا ، ووالدتى كانت مقتنعة بوجودك على قيد الحياة ..

يبتسم ابتسامة باهتة ..

- أنا حقًا لا أعلم ما حل بى ، لا أعرف إذا كنت حيًا أم ميتًا .. ولكن شيئًا ما يحدث ، وهذا الشىء متعلق بى ، وهناك من يطاردنى لأسرى ، وأيضًا هناك من يهمه حريتى !! وأنا كل ما أعلمه عنهم هو أنهم من عالم لا ينتمى إلى العالم الذى أعرفه ، فهم من عالم الجن ..

تتطلع إليه بدهشة ، كما أنها لا تستوعب ما يُقال .. فيتابع (جاسر) قائلًا:

- أعلم أن ذلك صعب التصديق ، ولكن هذا ما حدث ..

تتنهد وكأنها تطرد فكرة اندهاشها ، قبل أن تقول :

- لا يوجد شىء صعب التصديق بعد أن تحدثت إلى شخص ميت !!

- ماذا ؟!!

- لا عليك ، سوف أقص عليك كل شىء فيما بعد ، إنما الآن هيا بنا نذهب إلى المنزل ، فيجب أن نتحدث إلى أمى ..

قالتها وهى تقف مستعدة للذهاب ، ولكن (جاسر) يمسك معصمها برفق ليوقفها قائلًا:

- أعتقد أننا لن نجدها فى المنزل ..

تتطلع إليه متسائلة ، فتابع :

- إنها أسيرة فى عالم الجن ..

***

- كيف حدث هذا !!

قالها (إبليس) غاضبًا ، وهو يقف من على عرشه ، فى مواجهة (إيليزابات) التى يتضح الخوف على ملامحها ..

- كيف يهرب جاسر وهو فى عقر دارنا ، ليس هذا فقط ، وإنما يهرب وهو فى عهدتك ..

تبتلع (إيليزابات) لعابها ، مجيبة فى محاولة منها لتبرير ما حدث :

- ساعده أحد الحراس ، لقد تم القبض عليه ، هو من رجال سوميا ..

تزداد عصبية (إبليس) ..

- ألم ننتهى من رجال ذلك العجوز بعد ؟!! .. هل عرفتم منه من أيضًا من أتباع سوميا جواسيس بيننا ؟!!

تتعلثم (إيليزابات) قليلًا قبل أن تجيب :

- لقد .. لقد انتحر ..

تشتعل عينا (إبليس) غضبًا ، حتى شعرت (إيليزابات) أنه سوف يفتك بها فى الحال ، ولكن أنقذها ظهور (ميمون) فجأة ، حيث انحنى أمام (إبليس) قائلًا:

- عذرًا سيدى على المقاطعة ، ولكن الأمر هام ..

يتطلع إليه (إبليس) وهو مازال يشتعل غضبًا ..

- أتمنى أن يكون الأمر كذلك ، فمن الصعب خسارة قائد مثلك..

يعتدل (ميمون أبانوخ) وقد سرت فى جسده قشعريرة غير إرادية ..

- الإنسية (أمال) زوجة (جاسر) ..

- ماذا بها ، هل هربت هى الأخرى ؟!!

يتنحنح (ميمون) قليلًا قبل أن يتابع :

- لا سيدى ، (أمال) حبلَى !!

***

- ماذا !!

قالها (رجُل الله) متعجبًا ، وهو يتحرك أمام عرشه السماوى الأبيض الضخم المطرز بالريش الناعم ، بينما ينتشر الأخضر حوله ..

- زوجة (المبعوث) حبلَى ؟!!

كان (ميخائيل) يقف أمامه باحترام ، ويخبره بما حصل عليه من معلومات عن طريق أتباعه فى عالم الجن ..

- نعم ، لقد أخبرنى بهذا أحد أتباع سوميا ، ويقول أن الجنين يكبر بمعدل غير طبيعى على الإطلاق ، بعيدًا عن أننا لا نعلم ماذا سوف تكون طبيعته ، فالمبعوث الآن من الجان ، وقد ضاجع زوجته الإنسية ، والمبعوث ليس كأى إنسان ، فله قدراته الخاصة ، بالإضافة إلى قدرات القرين .. فماذا سوف يكون ابنه ؟!! وفى أى جهة سوف يحارب ؟!!

كلها أسئلة جالت فى خاطر (رجُل الله) ، لقد درس كل خطوة قبل أن يبعث (جاسر) فى قرينه من الجن ، كانت مخاطرة ، مخاطرة مدروسة ، ولكن ما يحدث الآن هو تطور غير متوقع فى الأحداث ..

تطور لا يعلم نتيجته ، من الممكن أن يقلب الموازين ..

- هناك شيء أخر ..

قالها (ميخائيل) ليخرج (رجُل الله) من شروده ، فيتطلع إليه فى تساؤل .. فيتابع (ميخائيل) :

- لقد ظهر (لوسيفر) ..

وكان هذا تطور آخر .. تطور ليس خطرًا على البشرية فقط ، وإنما عليهم أيضًا ..

ف (لوسيفر) أكبر خطر على الملائكة ..

(13)

المشهد مختلف الآن تمامًا ، بعد أن كان (إبليس) غاضبًا وكاد أن يفتك بزوجته ، أصبح الآن فرحًا سعيدًا ، وهو يقف جوار (إيليزابات) و (ميمون أبانوخ) فى ذلك الكهف ، يشاهدون (أمال) العارية تمامًا ، وبطنها المنتفخة وكأنها حِبلَى فى الشهر الأخير ، وتتألم بشدة ..

كان (إبليس) منتشيًا ، يشعر وكأنه امتلك زمام الأمور ، وأمامه خطوة واحدة على النصر ..

- هل كنت تعلم أن هذا سوف يحدث ؟!! ألهذا طلبت منى أن أجمع (جاسر) بزوجته ؟!!

قالتها (إيليزابات) ، فأجابها (إبليس) دون أن يلتفت إليها :

- كنت أريد أن يحدث ذلك ، فأنا أتطلع إلى قدرات ذلك الجنين ، ولكننى لم أتوقع أن ينمو بتلك السرعة !!

ثم تطلع إليها متسائلًا :

- كم أمامنا من الوقت حتى تنجب ؟

تفكر (إيليزابات) قليلًا..

- اعتقد أن بهذا المعدل ..

قاطعها (إبليس) بصرامة :

- لا أريد اعتقادات ، أريد تأكيدًا ..

تنكمش (إيليزابات) برهبة قبل أن تجيب ..

- أمامها بضع ساعات .. بضع ساعات فقط ..

تتسع ابتسامة (إبليس) ، وهو ينظر إلى بطن (أمال) المنتفخة ، ويستمع إلى صوتها الصارخ بتلذذ ..

***

فى آخر مرة التقى (رأفت) (ريم) ، اتفقا ، أو بالأحرى ، أقنعها بأن تترك أمر (جاسر) وسر وفاته هذا ، وألا تفكر فيه كثيرًا وتتابع حياتها ، وإلا ستصبح مثل والدتها وتفقد عقلها ، وخاصة عندما احتار مثلهما دكتور (حسن) فلم يجد تفسيرًا علميًا أوعقليًا لما يحدث ، وتركوه على وعد منه بالبحث فى الموضوع ، والوصول إلى نتيجة منطقية .. ولكن أين ذلك المنطق ؟!! ، لا يوجد مجال لتلك الكلمة هنا ، وعندما يختفى المنطق ، تتشتت العقول .. هكذا أقنعها .

كان يريدها أن تبتعد عن الأمر ، فأولًا وأخيرًا هى ابنة أخيه التى تولى تربيتها بنفسه ويخاف عليها .. ويدرك أن الأمر خطر عليها ..

ولذلك ..

كان (رأفت) فى قمة دهشته ، عندما دخلت عليه (ريم) فى تلك اللحظة ، لقد اتفقا على ألا يلتقيا لفترة ما ، حتى يتسنى لهما نسيان أمر (جاسر) وينشغلا فى حياتهما الطبيعية ..

ولكن ليس هذا فقط ما أثار دهشته ، وإنما قدومها وفى يدها شخص فى العشرينات من عمره ، نحيل ، ويرتدى قميصًا أبيض ، وبنطال جينز ، وعلى عينيه عدسات نظر ، وكأنه شاب جامعى مجتهد ..

وتقدم إليه ذلك الشاب على أنه والدها (جاسر) !!!

جلس الإثنان على الأريكة بينما يجلس (رأفت) على الكرسى امامهما فى غرفة الصالون وهو مازال غير مستوعب ..

- أنت (جاسر) ؟!!

مشيرًا إلى الشاب صاحب العوينات ..

يتنهد (جاسر) متحدثًا بصوت الشاب ..

- نعم ، أقسم بالله أننى أخوك (جاسر) .. وأننى من الجن الآن ولا أعرف سبب عودتى بهذا الشكل ، فكل ما أتذكره أننى استيقظت فى الصباح لإيصال إبنتى للمدرسة . ولا أذكر شيئًا بعدها ..

يفكر (رأفت) قليلًا، ثم يقول وكأنه يفكر بصوتٍ عالى ..

- ونحن نعلم أنك توفيت ولكننا لا نتذكر كيف أو متى ..

تتدخل (ريم) فى الحديث ..

- المشكلة الآن فى والدتى ، أبى يقول أنها حبيسة فى عالم الجن ، كيف نخرجها من هناك ؟!!

يحك (رأفت) رأسه مفكرًا ، قبل أن يشير إلى (جاسر) ..

- أعتقد أن جاسر هو الذى يملك الإجابة ، فكما يقول ، هو ينتمى إلى عالم الجن الآن ..

يبتسم (جاسر) بسخرية قائلًا..

- أنا !! .. أنا أكثركم حيرة ..

فجأة ، يقف (رأفت) متوترًا ، وهو ينظر إلى الغرفة أمامه ..

- بعد إذنكم لحظة ..

يتعجب كلًا من (ريم) و (جاسر) ولكنهما لم يعترضا ، بينما (رأفت) يدخل إلى تلك الغرفة وهو يبحث حوله ..

- خنزب ، أين أنت ؟

يظهر أمامه (خنزب) وهو أحد الجن من فصيلة الشياطين ، قصير أو بالأدق قزم ، شكله يشبه البشر ولكنه أقبح بكثير ، أذناه طويلة ، وذو بشرة حمراء . وله ذيل طويل ، أطول من جسده ..

- أهذا جاسر؟

يتلفت (رأفت) حوله بتوتر ليطمأن بأن أحدًا لا يراه ..

- نعم هو ، ولكن أرجو ألا تقبضوا عليه الآن فى دارى ، انتظر فقط عندما نخرج من هنا ، فزوجتى بالمنزل ..

- زوجتك بالمنزل ولكنها ملكنا ، أنسيت ؟ ، ثم أن هذا لا يخصك ..

- بالفعل هذا لا يخصك ..

قالها (جاسر) حيث ظهر أمام باب الغرفة المفتوح ، وعلامات الغضب ترتسم على وجهه الشاب وجواره تقف (ريم) مندهشة ، فأمامها كان عمّها (رأفت) يتحدث إلى نفسه . فهى لا ترى (خنزب) على عكس (جاسر) فهو يرى (خنزب) وجنوده المنتشرين فى الغرفة الذين لا يراهم (رأفت) أيضًا ..

- لقد توقعت أنك تتعامل مع الجن قبل أن أتحدث معك . حيث لاحظت وجود بعض الحراس لمنزلك على عكس باق البيوت ، ولكنى أقنعت نفسى أنك مراقب منهم ، بما أنك أخى ولا يمكن أن تتآمر ضدى ، ولكنى كنت مخطئ ..

لم يهتم (جاسر) بالجان الموجود فى الغرفة بقدر احتقاره لأخيه ، حيث سقط كليًا من نظره ..

(رأفت) لم يتحدث أو ينطق بكلمة وإنما ظل ينقل بصره بين (خنزب) و (جاسر) ..

فى اللحظة التالية ، اتخذ (خنزب) قراره ، وبدون أن يتبادل مع جنوده كلمة ، هجم ..

وكان رد فعل (جاسر) سريعًا ، حيث دفع (ريم) لخارج الغرفة وأغلقها وهو بالداخل ، وانقض هو الآخر ..

لسى أنه فى جسد بشرى ، فتلقى ضربة قوية من ذيل أحدهم فى بطنه لتقسمه إلى نصفين ، ودمائه وأشلاءه تملأ المكان ، بينما (رأفت) يتراجع فى جزع ..

نتيجة إلى موت الوسيط البشرى ، خرج (جاسر) بجسده الحقيقى ، الغير مرئى إلا للجن فقط ، وبالتالى أصبح (رأفت) لا يراه .. فـ (جاسر) لا يدرك كيفية الظهور بهيئته الحقيقية للبشر ، ولا يدرك أيضًا أنه الآن أصبح قرين ومن صفات القرين أنه لا يظهر للبشر إلا فى جسد وسيط ..

شعر (جاسر) ببعض الضعف والألم نتيجة للضربة التى تلقاها ، ولكن اللطمة الأخرى أنسته الألم السابق بألم جديد أشدّ وأقوى ، حيث تلقى ضربة من ذيل آخر ، ليرتطم بالجدار أمامه الذي أصبح مشروخًا ..

كانت المرة الأولى التى يدرك فيها (جاسر) أن الجن يرتطم بالماديات ويتألم مثله مثل الإنس !!

يلاحظ تلك المرة ذلك القزم وهو ينقضّ عليه ، فقفز بعيدًا متفاديًا إياه ، ويمسك ذيل أخر بقوة لم يدرك أنه يمتلك نصفها حتى .. ويلقي به بعيدًا ليرتطم بتلك المكتبة فى الجوار ..

كان (رأفت) لا يشاهد أيًا من هذا ، فقط كان يرى تحطم منزله !!

حاول أن يركض تجاه الباب المغلق ، ولكنه لم يضطر لفتحه ، حيث أنه تحطم فجأة بانفجار قوى ، أطاح به لأمتار لترتطم رأسه بالحائط ثم يتمدد على الأرض ساكنًا ، وبكمية الدماء التى خرجت من رأسه نستطيع القول أنه أصبح جثة هامدة الآن ..

كانت (ريم) تقف بالخارج .. شاهدت الباب يتحطم ، تسمع ضجيج لصراع ما دائر ولكنها لا ترى شيئًا !!

بينما (جاسر) كان هو من حطم الباب ، حيث تلقى ضربة جعلته يرتطم به بقوة ، ولكنه وقف مرة أخرى على قدميه ، وكان قد قرأ الموقف جيدًا ، هناك هجومًا غير مدروس بالمرة من ذلك الجنى القزم وجنوده ، هجوم عشوائى ..

ولاحظ أيضًا – وهذا هو الأهم – أنه الأقوى ، أقوى منهم جميعًا .. بمراحل ..

فأخذ يلطم هذا ، ويركل ذاك ، وبدأ الجيش الصغير ينهار بالفعل ..

حتى دوت فرقعة عنيفة بالمكان ..

فرقعة جعلت الجميع يتسمر فى مكانه ، حيث ظهر – من العدم – طفل صغير ، يبلغ من العمر 9 سنوات بالأكثر..

لم يكن حائرًا أو خائفًا ، وإنما كان مبتسمًا ، ينظر حوله وكأنه يعلم أين هو بالضبط ، ولماذا هو هنا ..

ولكن الأعجب ..

أن (ريم) كانت تراه فى الغرفة .. !!

فى تلك اللحظة ، اختفى جيش الجان .. بينما اقترب الطفل قليلًا من (ريم) .. التى تراجعت بخوف لا إرادى ..

ظل يرمقها الطفل بنظرات غير مقروءة ، بينما ينظر إليه الإثنان فى ترقب ..

وبصوت رفيع ، مثله مثل أى طفل ، تحدث إلى (ريم) ..

- أهلًا .. أختى الكبيرة ..

***

كان (إبليس) يقف هو وزوجته فى ذلك الكهف ، يتطلع إلى تلك البطن المنتفخة وقد بدأ شكل لأصابع يد صغيرة ترتسم على جدارها وكأن الطفل بالداخل يريد الخروج ، وصراخ (أمال) يعلو ، وتتلوى من الألم ، حتى أنهم قد كبَّلوها من أطرافها الأربعة بالجدران حتى تظل نائمة على ظهرها لا تستطيع الحراك ..

ظلت (أمال) تتألم وتصرخ وتحاول الفكاك من القيود حتى أدمت يداها وقدماها . وبطنها المنتفخة يتحرك ما بداخلها أكثر وأكثر..

وفجأة ..

بدأت بطنها تنشق من المنتصف ، وبغرق الدماء جسدها العارى .. وتخرج من هذا الشق يد صغيرة ، حوافرها طويلة نسبيًا ، وحادة كموس الحلاقة ..

والصراخ يعلو ويعلو..

بينما (إبليس) و (إيليزابات) يتطلعان إلى المنظر باستمتاع وشغف ..

يُفتح الشقّ فى بطن (أمال) أكثر و أكثر .. ليخرج منه جسد طفل كامل ، ليس رضيعًا ، وإنما يبدو عليه أنه قد تجاوز العامين ..

وهدأ الصراخ فجأة .. حيث يبدو من استسلام جسد (أمال) ونظرة عيناها الثابتة ، ووضع رأسها المائل إلى اليسار ، أنها قد فارقت الحياه..

بينما الطفل خرج كليًا من أحشائها يتطلع حوله فى حيرة وصمت ، حاول أن يتقدم ولكن منعه الحبل السرى الذى مازال متصلًا به ، نظر إليه قليلًا. قبل أن يمزقه بيده ، كان يتحرك . وبه قوة لا يمكن أن توجد أبدًا فى طفل وليد !!

اقترب من (إبليس) المبتسم زهوًا ..

- بابا ..

قالها متألمًا راجيًا وهو ينزف مكان قطع الحبل السرى ، فانحنى (إبليس) وضغط بيده على مكان الجرح ، ليلتأم فى سرعة ويتوقف النزيف وكأنه قد كواه !!

- نعم أنا أبيك ..

ثم أشار إلى (إيليزابات) متابعًا ..

- وهذه أمك .. اجلس الآن ، أعلم أنك جئت إلى الحياة ملكًا قويًا .. ولكنك تحتاج إلى راعيًا ، وأنا راعيك ..

أطاعه الطفل فى صمت ، بينما تابع (إبليس) ..

- سوف تسمعنى الآن وتطيعنى ، فأنا راعيك ، حاميك ، أبيك ، سيدك ، ربك ، ورب الكون ..

يصمت قليلًا. ثم يقترب من وجه الطفل ، الذى يبدو أنه يستوعب هذا النقاش جيدًا ، على عكس ما يُبديه سنه ..

- ولكن هناك أيضًا أبٌ أخر لك .. أبيك العاصى ..

(14)

الشرط الثالث : لا تكترث لنفسك أو لعائلتك فقط .. فالجميع مسئول منك ..

***

كان (لوسيفر) يتابع ما يحدث ، منذ أن هرب (جاسر) إلى ما وصلت إليه الأحداث الآن ..

ولاحظ إبعاده المتعمد من قبل (إبليس) ، حيث لم يقل له هذا الأخير شيئًا ، لم يخبره بأمر ذلك الصبى ابن (جاسر) ..

كان شاردًا فى تلك الأحداث الكثيرة وهو جالس على عرشه المؤقت .. فهو ينتقل من مكان لآخر كل فترة ، حتى لا تعثر عليه الملائكة .. هو من سيعثر عليهم .. فى الوقت المناسب ..

ولكنه أخطأ .. ارتكب خطأً فادحًا عندما ظهر فى عالم الجن ، فذلك العالم مكشوف عند الملائكة ، وبالتأكيد تم رصد ظهوره هناك .. ولكنه يأمل ألا يكون الوقت قد سمح لهم بتتبع خطاه ..

أمل زائف .. أدرك ذلك سريعًا عندما دخل عليه خلوته أحد حراسه من الكروبيميين ..

- عذرًا سيدى . ولكن هناك جيش من الملائكة يقترب ..

أدرك (لوسيفر) الآن أن الحرب قد بدأت لتوها ..

بدأت هنا فى عرشه .. بعيدًا عن كوكب الأرض ..

بل بعيدًا عن المجرة كلها ..

***

كان الوضع مثيرًا للدهشة ..

طفل فى التاسعة من عمره ، يتحرك واثقًا ، مبتسمًا ، ويقترب من (ريم) ويدعوها على أنها أخته الكبرى ..!!

بقى الوضع صامتًا لدقائق .. حتى اقترب الطفل أكثر من (ريم) ..

- ماذا بك يا أختاه .. اقتربى منى ، أنا أحبك ..

تتسمر (ريم) مكانها خائفة ..

ولكن (جاسر) كان حائرًا هو أيضًا . من ذلك الطفل الذى يدعى أنه ابنه ، أخو (ريم) ؟!!

ولكن مهلًا .. هو بالفعل شديد الشبه به !!

هل يمكن أن تكون تلك الليلة مع (أمال) قد أثمرت عن ذلك الطفل؟!!

ولكن طفل بهذا العمر فى تلك الساعات القليلة ؟؟!!

لن يتعجب الآن . فكل ما يمر به منذ ظهوره بهذا الشكل لا يُصدق . فلماذا يتعجب من طفل ينمو بمثل تلك السرعة ؟!! ثم إنه لا يدرك قوانين الجان الذين أصبح منهم الآن ..

- أين أمال ؟

قالها (جاسر) إلى الطفل ، حيث تذكر زوجته وأنه تركها وحيدة فى عالم الجن ..

ينطلع إليه الطفل متفحصًا ، قبل أن يجيب متسائلًا ..

- ماما ؟

- نعم ، أين والدتك أيها الطفل ؟

تظهر علامات الغضب على وجه الطفل ..

- أنا لست طفلًا .. اسمى دنهش ..

حاول (جاسر) أن يظهر شجاعًا ، فتقدم منه قليلًا، قائلًا بصوت يبدو صارمًا ..

- لم أتذكر أننى أسميتك بهذا الأسم ، هل أعطتك إياه أمال ؟

- أمى ماتت ..

قالها على عكس مردودها ، قالها مبتسمًا وكأنه حدثٌ جيد .. بينما تلقى (جاسر) الخبر كالصاعقة أطاحت قلبه من مكانه ، وتناهى إلى سمعه شهقة (ريم) الفزعة ، هى لا تسمع حديث (جاسر) ولكنها تدرك أن هناك حوار دائر فهى تستطيع سماع ذلك (الطفل) ، وهو يقول أن أمه ماتت وفى نفس الوقت يؤكد بأنه أخوها ..!!

قال (جاسر) :

- كيف ؟!! كيف حدث ذلك ؟ من قتلها ؟

- أنت من قتلها ..

قالها (دنهش) بكل هدوء ..

اعتلت علامات الدهشة والاستنكار ملامح (جاسر) ، فاقترب منه (دنهش) متابعًا بلهجة لا تناسب طفل في التاسعة من عمره ..

- لولا مضاجعتك لأمي . لما شققت بطنها إلى نصفين وماتت ..

تتحول نبرته إلى نبرة حانية ، ونظرة عينيه إلى حب زائف وهو يتطلع إلى (جاسر) ..

- ولكن موتها لم يكن هباءً .. فقد أتيت أنا ، ابنك دنهش ..

بصوت آلي لا يدرك أو يشعر بالموجودات حوله ، قال (جاسر) :

- ليس لدى أطفال ، سوى ريم ..

قطب (دنهش) حاجبيه بغضب ، وقبل أن يستوعب أحد ما يحدث ، كان أمام (ريم) وبحركة من يده الصغيرة – حيث ظهر لها حوافر طويلة حادة مدببة – كان عنق (ريم) مشقوقًا إلى نصفين ورأسها تتدلى إلى الخلف .. لم يصمد جسدها إلا بضع ثوانٍ فقط ، قبل أن يسقط أرضًا وسط بركه الدماء التي خلّفها ..

- الآن ليس لديك أطفال سواى ..

***

هل تخيلت حربًا تقام في الفضاء ؟!!

دعك من ذلك ، بالتأكيد قد رأيت مثله في أفلام الخيال العلمى وحرب النجوم ..

ولكن هل تستوعب أن تلك الحرب بين الملائكة وبعضها ؟!!

كان هذا هو الوضع الآن ..

جيش من الملائكة بقيادة (مَلَك الموت) اقتحم عرش (لوسيفر) الذى كان مُحاطًا بالعديد من الكروبيمين ..

كان جيش (ملك الموت) كبيرًا بالفعل ، ولكن الكروبيمين كانوا الأقوى .. فـ(لوسيفر) هو من درّبهم ، و (لوسيفر) دائمًا الأقوى ..

اصطدمت الأجساد ببعضها ، وغطت الأجنحة سماء ذلك الكوكب الصغير..

كانت حربًا طاحنة ، سقط الكثير من جنود (ملك الموت) .. ولكن كما نقول ، الكثرة تغلب الشجاعة والقوة ..

بعد سقوط الكثير من الطرفين .. استطاع (ملك الموت) أن يفرض سيطرته ويأسر من تبقى من الكروبيمين ..

وبدأت رحلة البحث ..

فتش (ملك الموت) و جنوده جميع الأركان والأماكن التى من الممكن أن يتواجد بها (لوسيفر) ولكن دون جدوى ..

لابد أنه كان مستعدًا لمثل ذلك اليوم ، فهرب من المكان دون أن يلاحظه أحد ..

غضب (ملك الموت) ، ولكنه عاد ليبتسم مرة أخرى ، فهروب (لوسيفر) الآن قد ينجيه لبعض الوقت ..

ولكنه يدرك تمامًا ، أن هلاك ذلك الخائن قريبًا إلى أقصى درجة ..

***

لم ير أمامه شىء سوى جثة ابنته (ريم) ودمها فى كل مكان ..

جسمها ظل ينتفض قليلًا كثور مذبوح قبل أن يسكن تمامًا ..

ظل (جاسر) يتطلع إلى الجسد الغارق فى الدماء ودموعه على وجهه دون أن يستطيع التحرك ولو قليلًا. لا يدرك المشاعر التى أصابته ، هل هى مشاعر الغضب أم الحزن ، أم مزيجًا منهما ؟!!

لا إنها مشاعر الموت .. الآن (جاسر) أحس بالموت ..

فالموت ليس مجرد توقف جسدًا عن العمل ، أو عقلًا عن التفكير ، أو قلبًا عن النبض ، وإنما هو رَوحٌ تُؤخذ منك ، وأنت تملك الكثير من أرواح من تُحب ..

فجأة ..

امتلأت الغرفة بالغيلان من الجن .. أحاطوا بـ (جاسر) الذى كان شاردًا مستسلمًا ..

بينما (دنهش) ينظر إلى (جاسر) مبتسمًا..

- الآن سوف تأتى معنا أيها العاصى ..

لم يلتفت إليه (جاسر) ولا يبدو أنه قد سمعه من الأساس .. وبالرغم من ذلك تابع (دنهش) :

- لماذا تحارب ربى ؟!! لقد ظلم ربك ربى ، وها هو الآن يشاهد المعركة ويضحك ، فقط يعبث بنا ، فماذا فعل لك ربك حتى تحارب من أجله ؟!!

ثم يشير إلى جثة (ريم) متابعًا :

- لقد ترك ابنتك تموت موتة بشعة ، وقبلها زوجتك ، دون أن يتدخل مدافعًا عن جنديه الذى يبعثه كلما مات .. صدقنى

ربك لا يهتم بك ولا بأى مخلوق من مخلوقاته . فلقد خلقنا فقط لمتعته الخاصة ..

ينظر إليه (جاسر) بعيون دامعة ، وبصوت مبحوح قال :

- إن كان ما تقوله عن ربى صحيحًا ، فربى هذا خلق وترك خلقه . أما ربك فكل ما يفعله هو قتل من خُلق على يد غيره..

يبتسم (دنهش) ..

- يبدوا أننا لن نتفق ، خسارة ، كنا سنصبح معًا الأقوى .. أراك بالأسفل ..

قالها (دنهش) قبل أن يختفى تمامًا من الغرفة ..

كبّل الغيلان يدى (جاسر) المستسلم استعدادًا لنقله إلى العالم السفلى ..

ولكن فجأة ، تظهر من العدم أجنحة بيضاء كبيرة ، لتُطيح بالغيلان من حول (جاسر) ..

وقبل أن يستوعب أحدٌ ما حدث ، يحيط القادم بأجنحته (جاسر) ثم يتجه طائرًا إلى حيث المكتبة المدمرة ليأخذ كتابًا كان فى أحد الاركان ملفوفًا برباط سميك ، ثم يسرع بهما إلى خارج المنزل ..

كل هذا تم فى لحظة واحدة قبل أن تدرك الغيلان ما يحدث ..

وبعيدًا عن تلك المنطقة ، فى إحدى الصحارى ، هبط الرجل ذو الأجنحة ليُنزل (جاسر) ..

لم يستوعب (جاسر) ما حدث . ولكنه لم يندهش أو يتأثر كثيرًا ، فمشاعره لم تعد لها وجود الآن ..

تطلع (جاسر) إلى هذا الشخص ذو الأجنحة .. كان شابًا ذو بشرة بيضاء ، ورداء أبيض ، وأجنحة بيضاء لها شكل أجنحة النسور .. رجل يصلح أن نطلق عليه الرجل الأبيض .. كان صارمًا ، قوى البنية .. ويمسك فى يده ذلك الكتاب الذى أخذه من المكتبه ..

- من أنت ؟

قالها (جاسر) حبًا للمعرفة ، ولكن بدون حماس أو دهشه ..

أجاب الأبيض :

- أنا ميخائيل .. الملاك ميخائيل ..

(15)

في العدم يقف .. أو هكذا خمّن ، لا يعلم أين هو ، ولكن لا يوجد وصف للمكان الذى يقف فيه . هو لا يعرف حتى ما تقف عليه قدميه فهو لا يرى شيئًا ، ولكنه يقف على شيء صلب ، وهذا كفيل بأن يهدم نظرية العدم ..

أهو ذلك الضوء الذى يُشِع من خلفه ويغمر المكان جعله يرى الموجودات باللون الأبيض ، أو لا يرى الموجودات من الأساس ..

لماذا يفكر في كل ذلك ، فهذا لا يهم ، المهم أنه في حضرته الآن ..

كان (مهلاييل) موليًا ظهره عنه والسعادة تغمر وجهه ..

- لا تحاول أن تنظر للخلف فيُعمَى بَصَرُك ، وتُنْزَع كرامتك ، وتَهْلَك أمتك ..

لم يسمع صوتًا ، وإنما الكلام كان ينتقل إلى عقله مباشرة .. وكذلك تحدث هو أيضًا .. بعقله :

- لا أعلم ماذا أقول ، لقد كنت أتمنى لقياك منذ زمن ..

- لقد اقتربت مواجهتك مع إبليس ، ويجب عليك ألا تخسر .. فخسارتك تعني الفناء .. سوف نعطيك هبة منا لتستطيع المقاومة .. الهبة والقوة لتكون قائدًا لفريقك لا محاربًا وحيدًا ، فمهما كانت قوتك ، وحدك تُهزم ..

- ألن ترسل من يساعدنا ؟؟

- الآن من الممكن أن نشارك ، ولكن لاحقًا ، لن أسمح بذلك ، من الجائز أن نساعد ، ولكننا لن نتدخل كليًا ، سوف تكون حربكم ، وليست حربنا .. ولذلك لابد من حمايتك .. أنت وذريتك .. من الآن ، أنت الوحيد القادر على مواجهتهم بقدراتك الجسدية ، قادر على مراوغتهم بقدراتك العقلية ، مختفى عن راداراتهم ، لا يستطيعون لبسك أو مسك ، أنت الوحيد الذى تستطيع مقاومتهم .. أنت ومن يحمل دمك .. ولكن .. هناك شروط ..

ينصت (مهلاييل) باهتمام دون أن يقاطع ، احترامًا للمتحدث ، بينما يتابع الصوت تدفقه إلى عقله :

- الشرط الأول : كُن عدوًا لا حبيب .. بعيدًا لا رفيق .. لا يجمع بينكم مصالح أو أطماع .. الشرط الثانى : لا اتفاقات أو مفاوضات ، لا يوجد هدنه .. فالحرب مشتعلة دائمًا .. الشرط

الثالث : لا تكترث لنفسك أو لعائلتك فقط .. فالجميع مسئول منك ..

أراد (مهلابيل) أن يستفسر عن شيء ما ولكن الصوت في عقله لم يعطه فرصة حيث تابع :

- إن لم تلتزم أنت أو أحد ذريتك . بتلك الشروط ، سوف تزول هبتنا ممن خالفها ، ويصير من المنبوذين حتى يوم الدين ..

***

حرب (مهلابيل) ضد (إبليس) والجان ..

دور (سوميا) في مساعدة البشر ضد بني جنسه .. ولكن أليس هذا تعاوناً مع الجن ؟!! .. لا لا هم من قاموا بمساعده لم نطلبها ..

قصة (لوسيفر) وحربه الدائرة مع الملائكة ، وقصة (إبليس) ..

كل هذا كان مكتوبًا في ذلك الكتاب ..

جدّ (جاسر) الأكبر هو من خط خطوط ذلك الكتاب ، وضع به كل المعلومات اللازمة لمساعدة أحفاده ، فهو يعلم أن المعركة مهما طال الزمن فهي وشيكة ..

وكان الكتاب كل تلك الفترة مع أخيه (رأفت) أو المنبوذ (رأفت) لقد تعاون مع الجن وأصبح منبوذًا ، وهو ميت الآن ، مكانه الجحيم لا محالة ..

أغلق (جاسر) الكتاب ، حيث كان جالسًا على رمال الصحراء ، وأمامه يقف (ميخائيل) ..

تسائل (جاسر) :

- إذًا فأنا من سلالة مهلابيل ؟

- نعم ..

- وأنا الوحيد الذى له قدرات جسدية يستطيع بها مجابهة قوة عشائر الجان ؟

- ولك أيضًا قدرات عقلية تستطيع بها قيادة شعبك للنصر ، فأنت مميز ..

يقف (جاسر) من جلسته ، وتبدو الحيرة على ملامحه ..

- ولكن لماذا ؟

- لماذا ماذا ؟

- لماذا أقود تلك الحرب ؟!! ، فليس لى عائلة الآن ؟! زوجتى ، ابنتى ، أخى ؟!! كلهم الآن موتى ، ومطلوبٌ منى أن أقتل ابنى المسخ ..

- هو ليس ابنك الآن ، هو ابن الشيطان .. ولا تنسى الشرط الثالث .. لا تكترث لنفسك أو لعائلتك فقط .. فالجميع مسئول منك .. وإلا ستزول قدرتك وتهلك منبوذًا ..

يصيح (جاسر) بغضب :

- فلتذهب قدرتى إلى الجحيم ، ولأهلك منبوذًا ، لقد أعطيتمونى دورًا لا أحبه .. هذا الدور الذي لم أختره ..

بهدوء ورصانة ، قال (ميخائيل) :

- لقد اختاره جدك (مهلاييل) ووافق عليه مَن بعده ..

- مَن بعده لم يقابلوا ما قابلته ، لقد وافقوا على شيء لا يعلمونه ، كل دورهم كان الحفاظ على السر وعلى ذلك الكتاب ..

قالها وهو يلَوّح بالكتاب أمام (ميخائيل) ..

تابع :

- لماذا أقوم بتلك المهمة ولمن ؟ لقد مات من أحب !!

- لماذا أساعدك ؟

كان سؤالًا مفاجئًا .. فوقف حائرًا يبحث عن رد ولم يجد ، فاكتفى بنظرة تساؤل ..

- لقد قرأت أنت الكتاب ، وأدركت أن الملائكة لا يجوز لها فى تلك المرحلة مساعدة البشر بالتدخل المباشر ، وأنا عصيت ذلك الأمر ، وربما أكون منبوذًا أنا الآخر .. لماذا فعلت ذلك بنفسى ؟

استمر (جاسر) فى نظرته الصامتة المتسائلة ..

- هناك أمورًا أهم منى ومنك ومن عائلتك ، أنت تدافع عن عائلات كثيرة ، أنت تحافظ على كيان ومنظومة الدنيا وعلى اتزانها .. لقد تحدى إبليس البشر منذ دهور .. أتريده أن ينتصر؟

كان كلامًا إنسانيًا لم يقنع (جاسر) كثيرًا ، لقد سمع مثله من شيوخ التلفاز .. ولكنه تابع متسائلًا :

- لقد تحدى (إبليس) الله أيضًا .. فأين الله من ذلك ؟!! لماذا لا يدافع عن ملكه ؟!!

لم يجيبه (ميخائيل) هذه المرة ، وإنما صمت قليلًا مفكرًا ..

ثم فجأة تحولت الصحراء إلى منطقة ما بباريس ، بالتحديد عند برج إيفل ، ولكن كانت الشمس قريبة جدًا من الأرض والناس عارية تمامًا تحترق من أشعة الشمس ، وكل شىء يشتعل .. وبرج إيفل نفسه يذوب من الأسفل ويميل .. وهناك على قمته كان يقف شخص آخر – (الرجل الأنيق) - وجواره واقعًا على الأرض (جاسر) نفسه ، يحاول أن يحمى نفسه من الشمس الحارقة ..

كان (جاسر) يقف جوار (ميخائيل) مشدوهًا ، لا يشعر بما يحدث أمامه وإنما يشاهده كأنه عرض سينمائى ..

- أهذا أنا ؟!!

قالها وهو يشير إلى نفسه الجاثى فوق برج إيفل .. فأجاب (ميخائيل) :

- نعم ، هذا أنت ، لقد مررت بكل هذا من قبل ..

- أشعر بذلك بالفعل ، ولكننى لا أتذكر شيئًا !!

قال (ميخائيل) ..

- هذه رحلتك مع رجُل الله ، لن تتذكر منها شىء .. وليس من المفروض أن أريك إياها .. هذا الذى تراه أمامك هو النهاية ..

- نهاية ماذا ؟!!

- نهاية الاختبار .. لكلٍّ منا اختبار ، وهو الدور الذى أتينا من أجله .. ودورك الذى تعترض عليه من الممكن أن يكون اختبارك ..

يصمت (ميخائيل) قليلًا قبل أن يتابع مرة أخرى :

- الله لا يتدخل فى اختبار أحد ، فيجب على الجميع أن يجتاز اختباره بنفسه ..

تعود الصحراء إلى طبيعتها مرة أخرى ، ويختفى الجحيم الذى كان بها..

يقول (جاسر) :

- إن كان الأمر كذلك .. لقد فشلت أنت فى اختبارك ، لقد خالفت التعليمات وقمت بأكثر من مساعدتى، لقد تدخلت تدخلًا مباشرًا ..

ابتسم (ميخائيل) لأول مرة ..

- وكيف لك أن تدرك اختبارى ؟ فمن الممكن أن يكون فعل ما أراه صائبًا هو الاختبار .. هل آدم عندما أكل من التفاحة فشل فى اختباره أم كان لابد من أكلها حتى تبدأ سلسلة الاختبارات ؟!! العملية معقدة ، النجاح فى اختبارك يكمن فى اختيارك .. فمن الممكن أن يكون الصواب والنجاح فى قلب معصية ما ..

همَّ (جاسر) بإلقاء سؤال أخر ، ولكن (ميخائيل) يقاطعه بإشارة من يده متابعًا :

- لقد انتهى دورى معك هنا ، القرار فى يدك الآن ..

ثم يعطيه ورقة مطوية قبل أن يتابع ..

- هذا قرارٌ آخر متاحٌ لك ، ولتتحمل عاقبة ما تختار ..

أخذ (جاسر) الورقة ، قبل أن يرفرف (ميخائيل) بجناحيه ، ويحلق فى الهواء مبتعدًا ..

(16)

تغيرت الأمور الآن ..

أصبح لديه ابنٌ لا يقهر .. (دنهش) ابن (جاسر) حفيد (مهلاييل) الآن في صفه .. صحيح بتعاونه هذا زالت منه قدرته الإلهية ، ولكنه مازال يحتفظ بقوة جبارة .. جسد إنسيّ و قدرات جنّي و قوة قرين لا يمكن أن يموت !!

يا لها من قوة ..

يشعر (إبليس) الآن أنه الحاكم الفعلى ، أن لا أحد يستطيع الوقوف أمامه ..

(جاسر) ؟!!

لا يهتم به الآن ، معه الأقوى منه ..

أصبح (دنهش) فى عمر شاب فى السادسة عشرة الآن .. يكبر بسرعة هذا الولد ..

بَلَغَ تفكيره ، يستطيع تدبير الأمور ، وقادرًا على القيادة ..

ولكن الأهم .. أنه تحت سيطرته هو ..

فهو رب الأرض الآن ..

لن يكون مثل (لوسيفر) طامعًا فى أن يكون رب السماء ، فلا يريد معركة مع الملائكة فهو يعلم قدراته جيدًا ، ثم أنه فشل فى ذلك من قبل ، تدخلت الملائكة لأنه كان طامعًا فى كل شىء فدافعت عما يخصها وبالتالى ما لا يخصها فى طريقها ، فخسر هو كل شىء .. من الممكن أن تكون خطته فى المستقبل ..

(لوسيفر) ..

لقد كان محطة للوصول إلى المراد ، لا يحتاج إليه الآن ، وبالتأكيد لن يتشارك معه الحكم ..

أما الآن ..

فقد حان الوقت ..

لا يمكن أن تحارب الجن فى مملكته دون أن ترى خصمك وخصمك يراك ..

وكذلك فى مملكة الإنس ..

***

كان يوما مشمسًا ، سماء صافية ، يومٌ يصلح لأحداث جيدة ..

شاب وفتاة فى تلك الحديقة الهادئة يختلسان القبلات بعيدًا عن نظرات المارة ..

على الطريق يتحرك بائع البطيخ وينادى ، وكل أمله أن يبيع كل ما على ظهر العربة ..

وذلك المتعجل الذى تأخر على عمله ، يركض ليلحق بالأتوبيس الذى بدأ التحرك بالفعل ..

يوم طبيعى لأى شخص .. حتى الآن ..

بدأ الأمر فى لحظة ..

نيران اندلعت فى الحديقة لتُخرج الشابان من لحظتهما الرومانسية ، على صراخ ومحاولة للهرب ..

ينحرف الأتوبيس انحرافة حادة عندما ظهر أمامه ذلك الكائن الغريب الشكل ليرتطم بالشخص المُتعجّل ثم بعربة البطيخ وينقلب رأسًا على عقب وسط الصراخ ..

وفى لحظة أخرى ..

ظهر جيشًا من تلك المخلوقات ، فصائل مختلفة من الجن المحارب . زادت النيران اشتعالًا فى كل شىء .. البيوت ، الحدائق ، السيارات

لحظات أخرى .. والسماء أصبحت سوداء .. والأرض حمراء ..

الجن يعشق الأرض الحمراء ، سواء كانت رمال حمراء مثل عالمهم أو كانت حمراء بالدماء ..

فاللون الأحمر يثيرهم ..

(إبليس) لم يتحرك من عرشه .. كان جالسًا مبتسمًا ، يشعر بالنصر ..

وينتظر..

تحدث فرقعة فى المكان ..

تتسع ابتسامة (إبليس) أكثر..

يظهر (لوسيفر) ومعه مجموعة من الكروبيميين ..

(إبليس) مازال هادئًا وكأنه يتوقع ظهوره ..

(لوسيفر) غاضبًا :

- كيف تفعل ذلك من نفسك ، ألم نتفق على أن نهجم معًا ، ألم نتفق أن نكون أسياد الأرض والسماء ؟!!

بصوت هادئ غير منفعل يجيبه :

- أسياد السماء حربك أنت ، ليس لى دخل بها ..

تعجب (لوسيفر) من الثقة التى يتحدث بها (إبليس) ، فقال بحذر:

- لقد ساندتك فى حربك مع الجن .. ولولاى ما أصبحت ملك الجن ..

- وبعد ؟

- أنت مدين لى ..

يقف (إبليس) قائلًا بكل غرور..

- هنا .. أنا سيدك .. والسيد لا يمكن أن يكون مدينًا لأحد ، فقط يطيعه العبيد .. وإن لم يعجبك الحال هكذا .. فلتذهب إلى سمائك ..

اشتعل (لوسيفر) غضبًا ..

فانقضّ مندفعًا في اتجاه (إبليس) الذى لم يتحرك أو يهتز ولو قليلًا.. ولكن قبل أن يصل (لوسيفر) إلى (إبليس) انتزعته قبضة قوية أطاحت به بعيدًا ليرتطم بجدار الكهف ..

كانت ضربة قوية لم يتوقعها (لوسيفر) . نظر إلى مصدرها ليجد شابًا يافعًا . ظهر من اللامكان . يقف جوار (إبليس) واثقًا مثله ..

كانت هذه الضربة بمثابة إشارة إلى الكروبيمين بالهجوم . فانقضوا على (إبليس) و (دنهش) ..

ولكن الإثنان كانا أسرع .. لقد تفاديا الإنقضاضة . وأمسك (دنهش) بأحدهم . وبكلتا يديه انتزع أحد أجنحته لتنطلق منه صرخة مدوية . ويسقط صريعًا ..

وكان (إبليس) يفعل شيئًا مماثلًا . حيث كان يقتلع الرقاب تارة والأجنحة تارة أخرى . ولا ضرر من تلقى بعض اللطمات التى لا تؤثر تأثيرًا كبيرًا ..

اشترك فى المعركه أيضًا . مجموعة من أقوياء الجان ..

قلَّ عدد جنود (لوسيفر) . فهم لم يكونوا بالكثير . لقد قضى على معظمهم فى هجوم الملائكة ..

يتساقطون واحدًا تلو الآخر..

وبعد الانتهاء منهم . نظر كلًا من (دنهش) و (إبليس) إلى البقعة التى سقط بها (لوسيفر) ..

ولكنها كانت خالية ..

أدرك (لوسيفر) أنه ينهزم . ولا مفر له سوى الهروب ..

ولكنه سوف يعود مرة أخرى .. فى الوقت المناسب ..

***

مازال (جاسر) فى الصحراء ..

واقفًا حائرًا . يفكر .. ماذا عليه أن يفعل ؟!!

يمسك الورقة المطوية التى أعطاها إليه (ميخائيل) . لم يفك طيَّها بعد ..

الكتاب ملقى على الأرض ..

علم (جاسر) الآن حقيقته .. علم قدراته ..

ينظر تجاه المدينة ..

يدرك الآن أن قدراته تمتد إلى حواسه ..

فهو يرى المدينة بوضوح الآن ..

يرى اللهب ، يرى الجثث ، يرى الدماء فى كل مكان ..

توجد مذابح هناك ..

الغيلان يأكلون فى البشر..

يسمع الصراخ ..

يرى ابنه .. هناك .. يتنقل بين الجثث .. يُمَزِّق هذا ، ويفصل عنق ذاك..

حقًا لا يدرى ماذا يفعل ..

كيف له أن يَلِمَّ شَتَات الناس الآن ؟!!

كيف يقودهم إلى حرب مع تلك الكائنات ، و الحرب بدأت بالفعل !!

وابنه الذى ما كان يجب أن يوجد .. لقد أصبح أقوى منه الآن .. سوف يُهزم منه فى أى معركة مباشرة ..

يفتح الورقة ..

يبدأ بالقراءة ..

" لقد تم بعثك أكثر من مرة ، وفى كل مرة تموت ، ونلتقط روحك ونبعثك مرة أخرى .. الآن بعثناك فى جسد قرينك من الجان .. وكما

استطعنا إدخال روحك بهذا الجسد ، نحن من يستطيع إخراجها .. كل ما عليك هو قراءة العبارة أسفل الورقة

.. ولكن مهلًا .. فالنتائج غير معروفة .. ولتتحمل قرارك أيها المبعوث "

يتطلع (جاسر) إلى العبارة أسفل الورقة ..

ما الذى سوف يخسره ..

لقد خسر الكثير بالفعل ..

ابنته (ريم) ..

زوجته (أمال) ..

أخيه (رأفت) ..

وفوق ذلك خسر نفسه ، هو مجرد شىء غير آدمى ..

لا ينتمى إلى عالم البشر..

الناس ؟ الأرض ؟!!

الناس يُقْتَلُون الآن بالفعل ..

والأرض أصبحت مِلْكًا للشيطان ..

ينظر نظرة أخيرة إلى المدينة ، وإلى الدماء التى أغرقت كل شىء ..

يتطلع إلى الجملة أسفل الورقة ..

ويقرأ ..

***

ما الجدوى من الخلق ؟!! من الوجود فى ما لم نختاره ؟!!

لكلٍ منّا دور فى تلك الحياة المقيتة . نعم إنها مقيتة .. فالحياة ما هى إلا اختبارٌ كبير ، ويكمن اختبار كل شخص فى دوره ..

ولكل دور صلة بدور شخص آخر ..

فـ (آدم) لم يفشل فى اختباره عندما أكل من التفاحة ، ولكنه كان دوره الذى خُلق من أجله .. خُلق ليخلق أدوار غيره .. فهو أول السلسلة..

(قابيل) خَلَقَ النهاية ، و (هابيل) خَلَقَ الوداع ..

فهنا ، فى الأرض ، كُلّ مخلوق خالق ..

ولكن وُضع لك طريق مُسّير فيه .. خطٌ من العمر هو زمن اختبارك ..

وللعمر فرصة واحدة لا رجعة فيها ..

وإن حاولت أن تتلاعب بها ..

تفقد الاتزان ..

حتى لو لم تكن بشرًا ..

وكنت كائنًا ساميًا ..

***

استيقظ (جاسر) من نومه على صوت المنبه ، فتح عينيه بصعوبة ، ومد يده ليُخرس ذلك الرنين المزعج ، قبل أن يتأفف فى ملل ، وكأنه يقول :

- مللت من الاستيقاظ مبكرًا ..

كانت غرفة نوم عادية لا يميزها شىء ، وهو ممدد على الفراش ، وعلى يمينه خزانة ملابس كبيرة ، أما منضدة الزينة التي تعلوها مرآة..فهى أمامه مباشرة ، مما أتاح له أن ينظر إلى وجهه الناعس فى المرآة ..

زوجته استيقظت بالفعل ، لاحظ من المرآة ، عندما لم يراها جواره ، فهى بالتأكيد تساعد ابنتهما الآن لكى تذهب إلى المدرسة ، فاليوم هو أول يوم لها فى المدرسة .. وحتى لو لم يكن كذلك ، فـ (أمال) تستيقظ فى المعتاد باكرًا ..

ابنته (ريم) ذات السبع سنوات ، لقد تقدمت إلى المدرسة متأخرة سنة ، وذلك لأنها لم تتم عامها السادس إلا بعد غلق التقديم فى المدارس ..

كم يعشق تلك الفتاة ..

أعتدل جالسًا على حافة الفراش . لابد أن يذهب إليها الآن حتى يوصلها بنفسه إلى المدرسة ، ويعطيها خمس جنيهات مصروف يدها ..

ارتدى ملابسه في عجاله ، بعد أن أنهى طقوسه المعتادة التي تلى استيقاظه من النوم – غسيل وجهه وما إلى ذلك – خرج إلى الصالة ، وهي صالة متوسطة الإتساع ،مقسمة إلى جزئين..أحدهما للطعام والأخر للاستقبال ..الذى يحتوى على جهاز التلفاز..ومكتبة متوسطة الحجم و.. ولكن ..

- صباح الخير أبى ..

لم تنطقها تلك الطفلة صاحبة السبع سنوات ، وإنما كانت شابة في العشرين من عمرها على الأقل ، وجوارها على طاولة الطعام تجلس (أمال) وعلى وجهها تجاعيد لم تكن موجودة بالأمس ..

- أبى ؟ .. لماذا تتطلع إلىّ هكذا ، هل حدث شيءٌ ما ؟!!

تمت

"قلما تجد من يرسم لك التفاصيل في روايته بتلك الطريقة الفريدة، هذا العمل نجح في فتح مجال جديد في أدب الرعب عندما يختلط بالفلسفة والفانتازيا والدراما، استمتعت بأحداثه وأفكاره بشكل لم أتوقعه."

الكاتب / حسن الجندي

"كانت رحلة شائقة في دروب الرعب والميثولوجيا.. استمتعت بقراءة هذه العمل، والذي يبعث روحا جديدة في أدب الرعب المصري."

الكاتب / محمد جلال

"رغم أنني تعهدت هذا النص بنظري قبل الطبع، وجعلته قيد عياني، إلا أنني كنت مجرد قارئا، لا يعرف طبيعة رد فعل بقية إخوانه في القراءة، وعليه أقول بكل ثقة: أن هذا النص الفانتازي الشائق، سيحقق نجاحا وانتشارا سريعين، وأن كاتبه لو استمر يتطور بنفس هذه السرعة في الساحة الروائية، سيفشو ذكره على الألسنة، ويقرع صيته الأسماع، ويشار اليه بالبنان."

الكاتب / عصام منصور

ISBN 978977778
9 789789 777785

ن للنشر والتوزيع